الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي

كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

المعاني النفسية للمتكلم في " دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني

مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات عامة

إعداد الطالبتين:
زينب بن أحمد
سميحة عسيلة

إشراف الدكتورة:
سلاف بعزيز

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د لزهر كرشو	بروفيسور	جامعة الشهيد حمه لخضر. الوادي	رئيس لجنة
د. سلاف بعزيز	أستاذ محاضر(أ)	جامعة الشهيد حمه لخضر. الوادي	مشرفة
د. العربي طريلي	أستاذ محاضر(أ)	جامعة الشهيد حمه لخضر. الوادي	مناقش

الموسم الدّراسي: 1446هـ-2024م/2025م

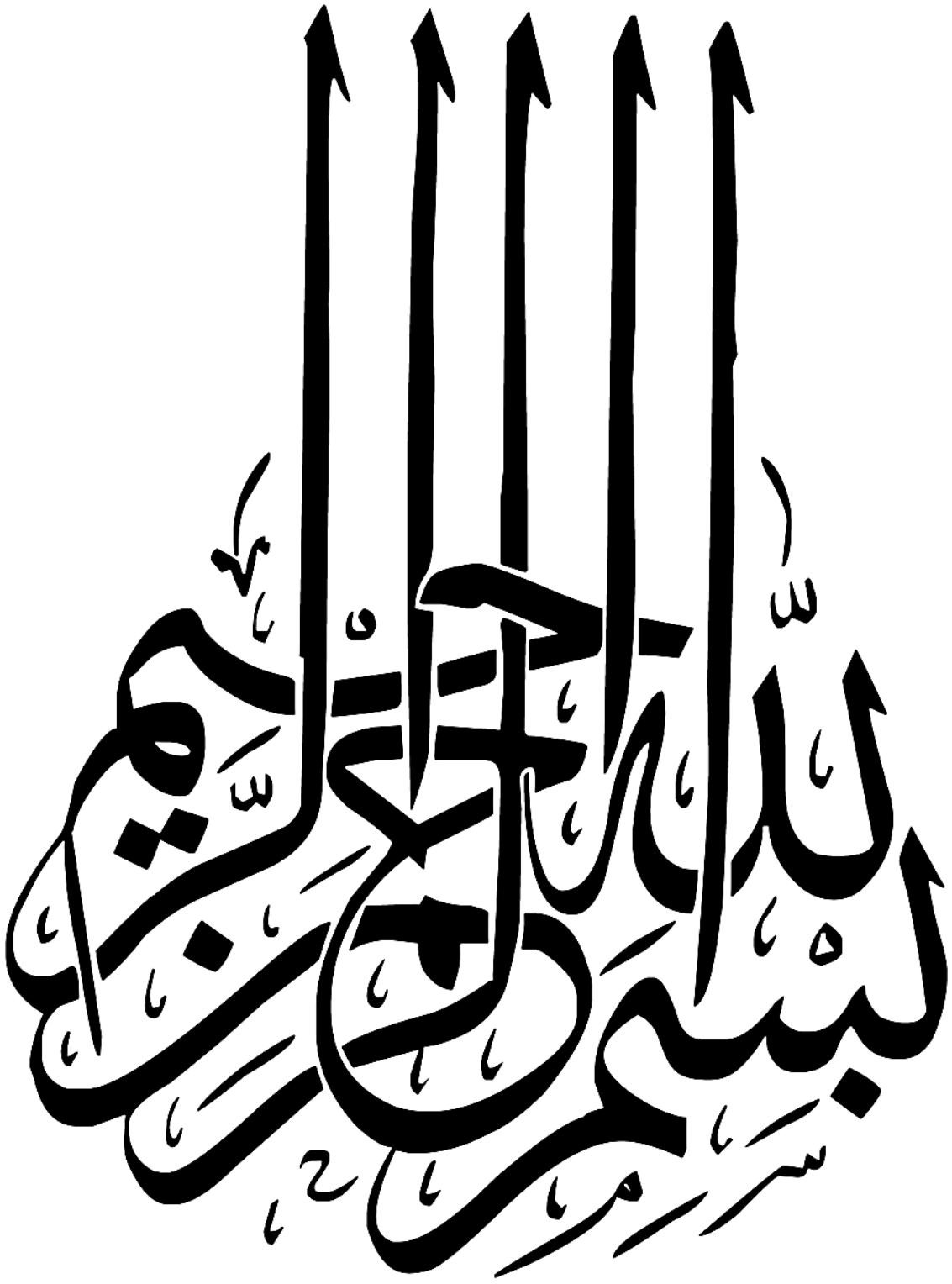
بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

[سورة الإسراء: الآية 88]

برواية حفص عن عاصم

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و بفضله تتحقق الغايات وبتوفيقه تتم الأعمال.

نتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لكل من أسهم، بشكل مباشر أو غير مباشر، في إنجاز هذا العمل المتواضع.

نتوجه بالشكر والتقدير إلى السادة أعضاء الهيئة التعليمية والإدارية الذين لم يبخلوا عنا بعلمهم وخبراتهم، وكانوا دائمًا مثالًا في الإخلاص والتفاني.

ونخص بالشكر مشرفة هذه المذكرة الدكتورة الفاضلة "سلاف بعزيز"، على ما قدمته من توجيه مستمر، وملاحظات بنّاءة، ودعم علمي وفكري كان له أثر بالغ في تطوير هذا العمل وتحقيق أهدافه.

كما نتوجه بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة الذين تكبدوا عناء قراءة عملنا وإثحافه بانتقاداتهم البناءة التي حتما ستزكي زادنا المعرفي فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

وإلى زملائنا وأصدقائنا الذين ساندونا وقدموا لنا يد العون، سواء بالنصيحة أو بالتشجيع، فكان دعمهم حافزًا لنا على مواصلة الجهد والاجتهاد.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نعرب عن امتناننا العميق لأُسرنا الكريمة، التي وقفت إلى جانبنا، ووفرت لنا بيئة مستقرة ومحفزة، وكان لدعائهم ودعمهم المعنوي أبلغ الأثر في تجاوز كل الصعوبات.

وفي الختام، نسأل الله التوفيق والسداد، وأن يكون هذا العمل نافعًا ومفيدًا، وأن يلقى القبول والاستحسان. فإن وفقنا، فذلك بفضل الله وتوفيقه، وما كان منا من تقصير، فحسبنا أننا بذلنا جهدنا، والكمال لله وحده.

مقـــــدمة

مقـــــدمة:

نـزل القـرآن الكـريم علـى النبـي الأمـي محمـد ﷺ فـي بيئـةٍ تفـاخرت بفصـاحتها، وتباهت ببلاغتها، وتناقلت معلقاتها وأراجيزها جيلاً بعد جيل، فجاء هذا النص المعجز ليبهر العقول، ويتحدى أرباب البيان، ويقيم الحجة على بلاغةٍ لا يدانيها كلام بشر. وقد تعددت جهود العلماء في تفسير سر هذا الإعجاز، إلا أن عبد القاهر الجرجاني كان من أبرز من خاضوا غماره، فأسّس لنظرية "النظم" في البلاغة العربية، التي لم تكن مجرد تنظير لغوي بقدر ما كانت رؤية دقيقة لطبيعة التأثير النفسي للكلام.

وقد تناول كثير من الباحثين الإمام الجرجاني بالدراسة؛ فتارةً يُعد من كبار البلاغيين الذين أسّسوا لفهم دقيق للبيان، وتارةً يُدرج ضمن النحويين نظرًا لعمق توظيفه للنحو في الكشف عن المعاني، وتارةً أخرى يُعدّ ناقدًا أدبيًا لقدرته على التمييز بين مراتب الأساليب. غير أن جانبًا مهمًا في مشروعه الفكري بقي قليل العناية والاهتمام، وهو نزعتُه النفسية التي تُعد حجر الزاوية في نظريته؛ فقد كان يرى أن بلاغة الكلام لا تكمن في حسن تركيبه فحسب، بل في أثره في النفس وانفعالاتها، وفي قدرته على تحريك الوجدان لا مجرد إفهام العقل. ومن ثَمَّ تنبع أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول جانبًا دقيقًا من جوانب البلاغة العربية، وهو البعد النفسي للمتكلم في الخطاب، كما صوّره عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز. فالجرجاني لم يقتصر في تحليله على البنية اللغوية للعبارة، بل كشف عن الرابط العميق بين السياق النفسي للمتكلم ومقاصده البلاغية. ومن خلال دراسة هذا البعد، يمكن الكشف عن مدى إدراك الجرجاني لأثر الانفعالات، والمقامات النفسية، وحالة المتكلم الذهنية في تشكيل المعنى، وهو ما يُعدّ سبقًا في النظرية البلاغية العربية. كما أن التركيز على هذه الزاوية يسلّط الضوء على الإمكانات التأويلية للخطاب، ويعمّق الفهم لكيفية تفاعل اللغة مع الذات المنتجة لها، مما يفتح آفاقًا جديدة للبحث البلاغي والنقدي. ليكون بذلك عنوان مذكرتنا موسوما بـ " المعاني النفسية للمتكلم في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني".

وكان اختيارنا لهذا الموضوع وفق عدة اعتبارات ذاتية وموضوعية.

أما والدوافع الذاتية فتتعلق بشغف شخصي بتراثنا العربي وعشقنا لفكرنا العربي العتيق عموما، وبوجه خاص شغفنا باستكشاف الأبعاد النفسية في الخطاب العربي القديم،

وخصوصا في التراث البلاغي الذي يمثله عبد القاهر الجرجاني، الذي لطالما جذبنا بمنهجه العميق وتحليله القائم على الذوق العقلي والفهم السياقي. كما أن الرغبة في فهم أعمق لكيفية حضور الذات المتكلمة في الخطاب، وما يرافقه من انفعالات ومواقف، كانت دافعًا محوريًا في اختيار هذا البحث.

أما على الصعيد الموضوعي، فإن قلة الدراسات التي تناولت دلائل الإعجاز من زاوية المعاني النفسية للمتكلم تجعل من البحث في هذا الاتجاه ضرورة علمية تسهم في سدّ فراغ معرفي، وتعيد قراءة هذا النص المؤسِّس بعيون معاصرة تستفيد من مفاهيم علم النفس اللغوي والتداولية الحديثة. كما أن الكشف عن البنية النفسية للمتكلم يسهم في فهمٍ أعمق للتأثير البلاغي في اللغة العربية الكلاسيكية، ويُظهر مدى وعي الجرجاني بالبعد الإنساني للخطاب.

و من هذا المنطلق، تطرح هذه الدراسة الإشكالية الآتية:

ما طبيعة المعاني النفسية في خطاب المتكلم عند الجرجاني؟ وكيف أسهمت في بناء نظريته في النظم وتفسيره لإعجاز القرآن الكريم؟

ولفك تلك الإشكالات تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والمعرفية، أبرزها:

– تحليل المعاني النفسية للمتكلم كما قدّمها عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، والكشف عن الكيفية التي تتجلى بها في بنية الخطاب.

– بيان العلاقة بين السياق النفسي وحسن النظم، من خلال تتبع الأمثلة البلاغية التي تُظهر أثر حالة المتكلم النفسية في اختيار التراكيب وصياغة المعاني.

– إبراز العمق التداولي في نظرية النظم، من حيث صلتها بالبعد الذاتي والتواصلي للغة.

– الإسهام في إثراء الدراسات البلاغية المعاصرة من خلال تسليط الضوء على جانب لم يحظَ بما يستحقه من الدراسة، وهو البعد النفسي للمتكلم عند الجرجاني.

ولإعطاء البحث عمقًا علميًا وتوضيح مدى التناول السابق للموضوع، رأينا إدراج دراسات سابقة له. حيث تناول العديد من الباحثين عبد القاهر الجرجاني من زوايا مختلفة، فركّز بعضهم على نظرية النظم من جهة البناء اللغوي والعلاقة بين النحو والبلاغة، كما فعل الدكتور محمد عبد المطلب في كتابه البلاغة وتحليل الخطاب، حيث

أبرز الأبعاد البنيوية للنظم دون تعمق في الأثر النفسي. كما بحث آخرون في البنية النقدية والفكرية لدى الجرجاني، ومنهم الدكتور محمد مفتاح في دينامية النص، الذي أشار إلى أثر التلقي في تشكيل الدلالة، لكنه لم يفصل في النية والانفعال النفسي للمتكلم. أما من تناول البعد النفسي تحديدًا، فقد كانت إشارات متفرقة؛ مثل ما ورد في كتاب بلاغة الخطاب وعلم النص للدكتور صلاح فضل، الذي نبّه إلى البعد الإيحائي والانفعالي في الخطاب عند الجرجاني، دون أن يخصص له دراسة مستقلة، أما الذين خاضوا في الدراسة النفسية لدلائل الإعجاز تحديدا فقلة ، نذكر محمد خلف الله في الفصل الرابع من كتابه : " من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده " ، ونذكر كذلك صنيع بانقيب في رسالته للماجستير الموسومة بعنوان : " البلاغة والأثر النفسي في تراث عبد القاهر الجرجاني " .

وبالتالي، فإن الدراسة الحالية . وبكل تواضع . تسعى إلى تزويد تلك القلة من خلال تسليط الضوء على "المعاني النفسية للمتكلم" باعتبارها عنصرًا أساسيًا في بلاغة الجرجاني، ومكونًا مغفلاً في تحليل الإعجاز القرآني عنده.

وعموما فقد سار بحثنا وفق خطة منهجية قوامها مقدمة، مدخل نظري، وفصلان تطبيقيان، وخاتمة.

أما المدخل النظري فكان بمثابة الأرض الخصبة لغراس دراستنا التطبيقية والذي عنوناه بصاحب المدونة ومرجعية البحث وقد ضمناه ثلاثة عناصر أساسية تمهّد لفهم السياق العام للبحث: أولها التعريف بعبد القاهر الجرجاني وآثاره، ليليه وصف كتاب دلائل الإعجاز، وختمناه بمحاولة لرصد حضور البعد النفسي في الدراسات البلاغية السابقة للجرجاني، ومدى وعيها بأثر المتكلم ونفسيته في بناء المعنى، مع التمهيد لتطوّر هذا الوعي في فكر الجرجاني، وكان ذلك تحت عنوان التحليل النفسي للنصوص البلاغية قبل الجرجاني.

وأما الفصل التطبيقي الأول فتطرقنا فيه للمعاني النفسية في دلائل الإعجاز، وضمناه مبحثين ضم كل منهما مطلبين، تناولنا في أولها الأساس النظري للمعاني النفسية في نظرية الجرجاني؛ حيث حددنا مفهومها وقارنا بينها وبين المعاني اللغوية. ودرسنا في الثاني منهما دور النية والقصد في تشكيل المعنى، حيث عرضنا فيه فكرة القصد عند

الجرجاني وصلتها بإنتاج المعنى، وبينا العلاقة بين نظرية النظم ومفهوم القصد، ثم أثر نية المتكلم في ترتيب الكلام وتوجيه المعاني.

والفصل التطبيقي الثاني كان بعنوان: دلالات المتكلم النفسية في دلائل الإعجاز، تناولنا فيه تجليات المعاني النفسية عمليًا من خلال تحليل الأساليب والأمثلة. وضم أيضا مبحثين يحوي كل منهما مطلبين، تضمن المبحث الأول: تجليات الحالة النفسية للمتكلم في البنية البلاغية، وذلك على مستوى الألفاظ والأساليب البلاغية. وتضمن المبحث الثاني: العلاقة بين المعنى النفسي والأسلوب البلاغي؛ وتناولنا فيه تطبيقات على نصوص من الخطاب القرآني والخطاب الشعري تكشف الأبعاد النفسية في التعبير البلاغي.

وذيلنا البحث بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها، كما ألحقناه بفهرس لمختلف المصادر والمراجع المعتمدة، ثم فهرسا للموضوعات.

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه الأنسب لطبيعة الموضوع. وقد تمثّل الجانب الوصفي في تتبّع المفاهيم المرتبطة بالمعاني النفسية للمتكلم كما وردت في دلائل الإعجاز، ورصد السياقات التي وردت فيها، وتحليل اللغة المستخدمة في التعبير عن الحالات النفسية المختلفة. أما الجانب التحليلي فتمثّل في فحص النصوص البلاغية وتأويلها، وبيان أثر البعد النفسي للمتكلم في تشكيل البنية البلاغية والمعنى المقصود، مع ربط ذلك بالإطار النظري لنظرية النظم عند الجرجاني، ومقارنتها ببعض الرؤى البلاغية واللغوية المعاصرة.

وقد اعتمدنا في بناء هذا البحث وتحليله على مجموعة من المصادر والمراجع الأساسية، التي شكّلت إطارًا علميًا ومعرفيًا داعمًا لفهم المعاني النفسية في خطاب المتكلم كما ورد في دلائل الإعجاز. ويأتي في مقدمة هذه المصادر الكتاب الرئيس دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، الذي يُعدّ حجر الزاوية في البلاغة العربية. كما استفدنا من كتاب اللغة والخطاب لعمر أو كان، الذي قدّم مقاربات معاصرة في تحليل الخطاب ذات صلة مباشرة بموضوع البحث.

ومن المراجع التي أثْرت الجانب النحوي والبلاغي كتاب التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني لصالح بلعيد، إلى جانب كتاب عبد

القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية لأحمد أحمد بدوي، الذي عرض بصورة وافية فكر الجرجاني ومفاصله البلاغية. كما اعتمدنا على كتاب البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين: عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي لعبد العاطي غريب علي علام، الذي قارَب بين المدرستين البلاغيتين بطريقة نقدية نافعة، وأخيرًا وليس آخرا كتاب نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية لوليد محمد مراد، الذي تناول بالتحليل التأصيلي نظرية النظم وأثرها في تطور الدرس اللغوي والبلاغي.

وككل طريق للقمة تعتريه العقبات، واجهت دراستنا عددا من الصعوبات التي تتعلق بطبيعة الموضوع ومصادره ومن أبرزها:

– الطابع التجريدي للمفاهيم النفسية في التراث البلاغي، إذ إن عبد القاهر الجرجاني لم يستخدم مصطلحات نفسية صريحة، بل كانت إشاراته إلى الأحوال النفسية للمتكلم تأتي ضمنية ومتداخلة مع المستويات النحوية والبلاغية، مما تطلّب منا ـ مع معرفتنا المتواضعة ـ جهدًا في التأويل والتفكيك.

– تشابك المصطلحات البلاغية والنحوية، وهو ما استدعى الرجوع إلى أكثر من مصدر لفهم السياق الذي يوظف فيه الجرجاني هذه المصطلحات، والتفريق بين ما هو لغوي وما هو نفسي.

– ندرة الدراسات السابقة المتخصصة في هذا الجانب تحديدًا، أي "المعاني النفسية للمتكلم"، مما قلّل من المرجعيات النقدية التي يمكن الاستناد إليها في بناء الإطار النظري.

– صعوبة إسقاط مفاهيم معاصرة على نص تراثي، دون الوقوع في إسقاطات غير منهجية، وهو ما تطلّب توازناً دقيقاً بين قراءة الجرجاني في سياقه التاريخي ومقارباته بمرجعيات حديثة.

وأخيرا من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فمن باب العرفان بالجميل نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لأستاذتنا المشرفة الدكتورة سلاف بعزيز، التي ستظل حروف اسمها منقوشة في ذاكرة المجد، فقد كانت مثالاً في الإخلاص والتفاني، بدعمها وتوجيهها السديد، وخبرتها الواسعة، فإذ ذاك قدر لهذا العمل أن يرى النور. لقد كانت بصماتها واضحة في كل مرحلة، وكلماتها المشجعة دافعاً للاستمرار. وانتقاداتها كانت على الدوام

مقنعة وبناءة تنم عن سعيها وكدها وبحثها معنا لا تدخر جهدا، فوالله تشم عبق ريح الإخلاص لله في كل تأشيرة تسدد بها وجهة بحثنا.

فلكِ منا أستاذتنا الفاضلة كل الشكر والتقدير، ونسأل الله أن يجزيكِ عنا خير الجزاء، ويجعل ما قدمتِه في ميزان حسناتك.

و ما كان منا من صواب فمن توفيق الله ومنه وكرمه علينا، وما كان منا من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان. وحسبنا أننا بذلنا ما بوسعنا آملين من الله التوفيق والسداد، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وما توفيقنا إلا بالله عليه نتوكل، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

مدخـــــل:

صاحب المدونة ومرجعية البحث

توطئة:

شهدت الدراسات اللغوية العربية منذ نشأتها تطوراً منهجياً واضحاً، يمكن تتبّعه عبر ثلاث مراحل رئيسة، شكّلت كل منها نقلة نوعية في النظر إلى اللغة وأدوات تحليلها.

بدأت المرحلة الأولى مع سيبويه، الذي وضع أسس دراسة اللغة بوصفها كلاً متكاملاً، حيث لم يكن يفصل بين النحو والدلالة، بل كان يربط بين التراكيب والمعاني ربطا وظيفياً دقيقاً. ثم جاءت المرحلة الثانية التي اتسمت بظهور التخصص في علوم اللغة، وعلى رأسها النحو، مما أدى إلى بروز توجهات تعتمد التأويل المنطقي المجرد للقواعد، ودراسة التراكيب النحوية بمعزل عن النصوص والسياقات الكلامية. هذا الانفصال بين الشكل والمعنى أضعف كثيراً من قدرة النحو على تفسير بلاغة الكلام وفهم الأثر الذي يتركه في المتلقي.

وفي ظل هذا المسار، برز عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري ليؤسس لمرحلة ثالثة، تمثل نقطة تحوّل حاسمة نحو الرؤية الوظيفية للغة. فقد أعاد الجرجاني الربط بين النحو والبلاغة من جهة، وبين اللغة والإدراك النفسي من جهة أخرى. وبهذا جمع بين التحليل اللغوي والبعد التأثيري للكلام، مستهدفاً تفسير الظواهر اللغوية بما تتركه من أثر في المتلقي، لا بما تقتضيه القواعد فقط. وقد جاء كتابه دلائل الإعجاز مثالاً ناصعاً لهذه المقاربة، حيث تناول فيه علم المعاني من منظور نفسيّ ووظيفيّ، معتبرا "النظم" توخيا لمعاني النحو في ضوء قصد المتكلم وأثر كلامه في نفس السامع.

وانطلاقاً من هذا المنظور، يتناول هذا الفصل ترجمة عبد القاهر الجرجاني، ويعرض أبرز آثاره الفكرية واللغوية، وبخاصة كتابه دلائل الإعجاز. الذي قدّم له وصفاً تحليلياً من حيث بناؤه ومضامينه، قبل أن يتطرّق إلى النظرية النفسية التي تطبع أسلوب الجرجاني وتُشكّل أحد أبرز سمات منهجه في التحليل البلاغي، مستعرضاً في السياق نفسه بعض الجهود التي سبقته في مقاربة البُعد النفسي في اللغة، تمهيداً لفهم تفرّده وعمق رؤيته.

حياة الجرجاني ونشأته:

اتفقت جل المراجع التي اطلعنا عليها على إيراد سيرته مقتضبة، أما عن اسمه فهو شيخ العربية أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني،[1] ولقبه الأخير هذا نسبة إلى جرجان،[2] ولد في مستهل القرن الخامس الهجري في أسرة رقيقه الحال، لم تكن لها أصالة في الجاه فلم يعرف التاريخ من سلسله نسبه سوى جده محمد.[3]

عرف بكونه شافعيا، عالما، أشعريا، ذا نسك ودين، فقال السلفي: كان ورعا قانعا، إذ يحكي أنه دخل عليه لص أخذ ما وجد وهو ينظر، مقيما الصلاة، فما قطعها.[4]

ومن الثابت أن عبد القاهر لم يغادر جرجان إلى بلد آخر، وفي زمانه" كانت تغص بكبار الفقهاء والمحدثين، وحشد من العلماء الأفاضل في مختلف العلوم"[5] فنشأ إماما ولوعا بالعلم محبا للثقافة، فتعلم النحو والتفسير والأدب والشعر، وكان ذا ثقافة فكرية متعددة الينابيع ما بين يونانية وفارسية وهندية، فضلا عن ثقافته العربية القرآنية الواسعة.[6]

*** شيوخه:**

رغم كثرة العلماء من حوله، إلا أن التراجم لم تذكر سوى شيخا واحدا لإمامنا هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي النحوي(ت 421هـ).[7]" على الرغم من أن عبد القاهر لم يخرج عن جرجان في طلب العلم، أرسل الله إليه أبا الحسن، وكان قد اخذ العلم عن خاله الشيخ أبي علي الفارسي صاحب كتاب"

---

[1] الذهبي ، سير أعلام النبلاء. تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، 2004م،ج1، ص2315.

[2] مدينة واقعة في شمال إيران بين طبرستان وخرسان، أعجمية، مشهورة، عظيمة، خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين. أهلها أحسن وقارن وأكثر مروءة ويسارا من كبرائهم، يأخذون أنفسهم بالتأني والأخلاق المحمودة، موصوفون بالستر والسخاء.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977 م، مج2، ص119-120).

[3] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية دار مصر القاهرة،(د.ت)، ص5.

[4] الذهبي، المصدر نفسه، 2315.

[5] هند جميل صالح نايته، مصادر الإمام عبد القاهر في بلاغته، بحث مقدم لنيل درجه الماجستير في علوم البلاغة، إشراف علي حسن العماري جامعه أم القرى: كلية اللغة العربية، 1407هـ، ص3،(مخطوطة).

[6] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية ص5، بيروت، 2015م،ص47، (مقدمة الكتاب).

[7] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص 45 .

الإيضاح" في النحو، وأغلب الظن أنه قرأ كتاب خاله لتلميذه، فقد كان عبد القاهر يعتني بهذا الكتاب عناية بالغة ،وكان كثير الأخذ عن أستاذه"[1]

كما عرف الجرجاني بعكوفه على الكتب، يلتهمها بنهم فتتلمذ عليها، يقرأها بفكر واع، ويقف أمام نصوصها متريثا، شأن الطالب الذي يعتمد على نفسه في القراءة والتحصيل . فكان في كتبه ينقل عن سيبويه(ت180هـ)، والجاحظ (ت 255هـ)، وأبي علي الفارسي(ت377ه)، وابن قتيبة (ت 276ه)، وقدامة بن جعفر(ت 337ه)، والآمدي (ت 370ه)، والقاضي الجرجاني (ت 392ه)، وأبي هلال العسكري(ت 395ه)، وأبي أحمد العسكري(ت382ه)، وقرأ كتاب الألفاظ الكتابية لعبد الرحمان بن عيسى الهمذاني (ت 327ه)، ورجع إلى كتاب الشعر والشعراء للمرزباني(ت384ه)، ونقل عن الزجاج(ت311ه)، كما أن له مختارات من شعر المتنبي (ت 354ه)، والبحترى(ت 220ه)، وأبي تمام(ت 231ه)،.... فكانت ثقافة الشيخ نحوية أدبية إلى جانب ثقافته الدينية. يعد من أكابر النحويين، حتى لقب بالنحوي، وعلى معاني النحو بنى نظريته في البلاغة والبيان فشهر بذلك وذكره له المؤرخون.[2]

وهو بذلك كان واضع أسس البلاغة والمشيد لأركانها والفاتح لمغلق أبوابها، وعلى نهجه صار المؤلفون من بعده، وأتموا البنيان الذي وضعه وأسسه. وقد أفاد من خبرة من سبقوه، وكان ذا عقلية ناضجة وحس مرهف ،وذوق بليغ، فأصبح علما من أعلام الثقافة وإماما من أئمة النحو والبلاغة.[3]

*** تلاميذه:**

ذاع صيت الإمام، فشدت إليه الرحال، وقصده طلبة العلم من كل الأمصار، فأسهم في تنشئة علماء لغة من أشهرهم: علي بن محمد بن علي أبو الحسن بن أبي زيد المعروف بالفصيحي[4] (ت 516ه) قرأ النحو والبلاغة والعربية على الإمام الجرجاني

---

[1] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص 6.

[2] المصدر نفسه، ص، 7،8.

[3] عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين: عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م، ص28.

[4] سمي بالفصيحي لكثرة دراسته لكتاب "الفصيح" لأحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني. أبو العباس المعروف بالثعلب(ت 291ه).

وبرع في ذلك حتى صار من أعرف أهل زمانه به. وأحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير(ت 471هـ) لقب بذلك لأنه كان ضريرا، استفاد الكثير من الشيخ، ومن أبرز مؤلفاته "شرح اللمع" الذي مثل ثمرة جهوده في النحو ،وأحمد بن إبراهيم بن محمد أبو نصر الشجري(ت 490هـ)، قرأ على الإمام كتاب "المقتصد"، وقد كتب الشيخ نفسه بخط يده في شأنه ما نصه: "قرأ علي الأخ الفقيه أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري_ أيده الله_ هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة ضبط".[1]

ولم تتوقف مشيخته عند أولئك بل استمرت باستمرار ما خلفه من أثر طيب حوته مصنفاته العظيمة والتي سنتطرق إليها فيما يأتي، طالبين من المولى عز وجل التوفيق والسداد.

*** آثـــــــاره:**

توفى إمامنا الجليل سنه إحدى وسبعين وأربع مئة ، وقيل سنة أربع وسبعين[2]، وهو مصنف مكثر، توزعت مصنفاته على علوم الدين والعربية.

فأما ما كان منها في الدين فنجد:

- شرح الفاتحة: الذي ذكر أنه في مجلد واحد[3].

- إعجاز القران الكريم : هو شرح لكتاب إعجاز القرآن الكريم من تأليف أبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي(ت 306هـ) وشرحه عبد القاهر في شرحين: المعتضد الكبير والمعتضد الصغير[4]، وبعض المصادر ترى أنه سماه المقتضب.

- الرسالة الشافية: نشرت ضمن كتاب بعنوان ثلاث رسائل في اعجاز القرآن[5].

---

[1] عبد الرحيم البار،" علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني في كتابة دلائل الإعجاز" قراءة في المرجع النحوي والتوجه البلاغي مع مقاربة لسانية حديثة. مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ع: 11، ماي 2017، ص 62. 63.

[2] وليد محمد مراد ، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق،ط1، 1403هـ\1983م،ص46.

[3] عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ط2، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر 1980،ج3،ص340.

[4] محمد حفيف فقيهي ، نظرية إعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، بيروت ،منشورات المكتبة العصرية، (د.ت)، ص32.

[5] محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ثلاث رسائل في إعجاز القرأن للوماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي دار المعارف بمصر ،ط3(د.ت) ، ص 17.

وأما عن مصنفاته اللغوية فقد ذكر أنه أعجب أيما إعجاب بكتاب "الإيضاح في النحو" الذي ألفه أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي(ت 377هـ)، فألف عليه عبد القاهر أربعة كتب[1]:

أولها: المغني: وهو شرح للإيضاح في نحو ثلاثين مجلدا.

ثانيها: المقتصد، وهو ملخص للمغني في ثلاث مجلدات.

ثالثها: التكملة: أضاف فيه شيخنا مسائل لم يذكرها صاحب الإيضاح.

رابعها: الإيجاز، وهو مختصر للإيضاح.

وله في النحو أيضا[2]:

- كتاب العوامل المائة: مشهور متداول ،عليه شروح كثيرة.
- وكتاب الجمل: شرح لكتاب العوامل.
- ثم التلخيص: الذي هو شرح للجمل .

وله كذلك[3]:

- العمدة في التصريف: المفقود.
- وكتاب في العروض: مفقود كذلك ،ولا تذكر المصادر سوى أنه في العروض.
- وكتاب المفتاح :مفقود هو أيضا.
- وله في الشعر كتابه "المختار": انتقى فيه خيار الخيار من أشعار المتنبي والبحتري وأبي تمام[4]
- وكتاب التذكرة جمع فيه مسائل منثورة[5].

---

[1] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص30.

[2] عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين: عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، ص 32.

[3] صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ط5، 1994، ص12.

[4] عبد العزيز الميمني، الطرائق الأدبية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،1937، ص201.

[5] أحمد أحمد بدوي عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية ص68.

ومن أهم مؤلفاته والتي اتخذت مادة للدرس البلاغي[1] في الأزهر الشريف كتابيه :

- أسرار البلاغة: الذي ألفه الشيخ لغاية بلاغية بحتة.
- دلائل الإعجاز: الذي هو تتويج للمؤلفات في الإعجاز القرآني.

وكثير من مؤلفاته مجهولة ،لازال البحث قائم للكشف عنها

وصف كتاب الدلائل:

يعتبر من أنفس ما ألف إمامنا الجليل إذ يمثل مرحلة النضج والازدهار في التأليف البلاغي أبان القرن الخامس الهجري. حتى أنه اتخذ مادة للدرس البلاغي في الأزهر الشريف إلى جوار كتاب أسرار البلاغة "بعدما استخرجهما الشيخ محمد عبده[2] مفتي الديار المصرية من بين مخطوطات[3] مكتبة الجامع الأزهر، وشرع في تحقيقها وتدريسها لطلابه"

*** طبعاته:**

خرجت بذلك إلى الوجود أول نسخة ورقية للكتاب سنة1321هجرية ،عني الشيخ بتصحيحها أتم عناية رفقة إمام اللغة وآدابها آنذاك الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي(1814م_ 1904م)، ووقف على تصحيحه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الإسلامي بمصر القاهرة[4].

ثم طبعه الأستاذ أحمد مصطفى المراغي طبعتين: الأولى سنة (1369هـ_ 1950م) والثانية مؤخرا من غير تأريخ.

وطبع في المغرب العربي بتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت في جزئين[5]. ثم خرج بطبعة أخرى من تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي في نسختين الأولى كانت سنة 1961م والثانية سنة 1969م .

---

[1] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، دار اليقين، مصر المنصورة،ط2، (1434 هـ،2013م)،ص7.

[2] محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركمان (1850- 1905م) فقيه ،مفسر، متكلم ،حكيم، لغوي، صحافي، سياسي(عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص54).

[3] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز ،ص7.

[4] عبد الرحيم البار، علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز ،مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ،جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، ع 11، ماي، 2017 ،ص65.

[5] عبد العاطي غريب علي علام، بين الناقدين الخالدين؛ ص 34.

وتوالت طبعات أخرى من دور طبع مختلفة بتحقيقات كثيرة منها :طبعة بتحقيق محمد محمود شاكر من مكتبة الخفاجي، وطبعة أخرى بتحقيق ياسين الأيوبي من المكتبة العصرية[1]، ناهيك عن الطبعات الحديثة الأخرى ،وتلك الأخيرة هي التي اعتمدناها لتوافر نسخة ورقية منها بين أيدينا، ولكونها تحوي شروحا قيمة بالحواشي.

*** موضوعه:**

أما عن موضوعه فقد أفصح الشيخ بشأنه قائلا:" هذا الكلام وجيز يطلع به الناظر على أصول النحو جملة وكل ما به يكون النظم دفعة"[2] ففي أصول النحو وكنه النظم تكمن مفاتيح الكشف عن الإعجاز .

وفيه- الكتاب- يرد عبد القاهر على مذهب أصحاب الصرفة القائل بأن الله صرف همم العرب عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم [3]. فهو يرفض في قوة مذهبهم ، ويقرر في قوة أيضا أن القرآن كان معجزا لبلاغته وفصاحته[4].

كما يدل عنوانه ومقدمته على موضوعه ومحوره ، فالدلائل جمع دليل ، والدليل في كلام العرب هو المرشد، وكان عبد القاهر يقصد بدلائل الإعجاز الوسائل المرشدة إليه، والمنهج الذي يعين على الوصول إلى حقائقه[5].

فالشيخ الإمام لم يقدم في كتابه تفسيرا مباشرا للإعجاز، ولكنه قدم الأدوات والوسائل والمنهج. حيث بدأ كتابه بداية تشير إلى أن مفتاح البحث في الإعجاز هو النظم الذي عرفه بكونه تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض. وأن هذا التعليق له وجوه معروفة في كلام العرب لا تتبدل، فما الذي تجدد في القرآن من وجوه النظم العجيبة التي أعجزت العرب قاطبة؟ ذاك هو السؤال الذي بدأ به عبد القاهر، وكانت سائر أبواب كتابه جوابا عليه. لكنها إجابات غير مباشرة ،إذ تحتاج الإجابة المباشرة إلى جهد جبار وزمن طويل، غير أن شمس حياة الإمام كانت قد أوشكت على

---

[1] عبد الرحيم البار، علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، ص 66.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص11.

[3] محسن سميح الخالدي ، الصرفة ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية) ، كلية الشريعة ،جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، مج : 12 ، ع: 2 ،يونيو2004 ،ص 305 .

[4] أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية،ص51، 52.

[5] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، ص10.

المغيب أثناء تأليفه للدلائل، فلم يكن متاحا له الوصول إلى وجوه النظم التي تجددت بالقرآن، فاكتفى بوضع الأسس والمنهج وأرشد إلى الوسائل والأدوات الدالة إلى ذلك، مع التنبيه إلى خطورة المهمة التي لا يقوم بها إلا صاحب همه وعزيمة ودين لأنها في خدمة كتاب الله العزيز [1]فخدمة الدين والعقيدة كانت بغيته من تأليف دلائله وسائر مؤلفاته.

وعموماً، فإن الجرجاني في كتابه أثبت إعجاز لغة القرآن من خلال نظرية النظم، فالبلاغة عنده ليست في اللفظ في حال انفراده وانقطاعه عما يليه، بل البلاغة تكمن في تلك العلاقات التي تربط كل لفظة بالتي تليها، بحيث يأخذ بعض الألفاظ برقاب بعض، وتكون كل لفظة سبباً في اختيار التي تليها. إذاً فالنظم عنده هو ليس ضم الشيء إلى الشيء على أي حال وكيفما اتفق، بل النظم في ترتيب الألفاظ بحسب ترتيب المعاني في النفس مع توخِّي معاني النحو.[2]

*** مضمون الكتاب:**

سبق وأن أشرنا إلى أننا اعتمدنا من كتاب الدلائل نسخته التي حققها الدكتور ياسين الأيوبي حيث شكله وشرح غامضة وخرَّج شواهده وقدم له ووضع فهارسه. والتي صدرت عن المكتبة العصرية بيروت سنة 1436 هجرية الموافق لعام 2015 للميلاد والتي احتوت ستمائة وعشرة من الصفحات .

قسم ياسين الأيوبي الكتاب إلى قسمين تصدر القسم الأول تقديم صاحبه المتضمن العديد من الجوانب من بينها: موضوعات الكتاب ، منهجه، طريقته وأسلوبه، والسيرة الذاتية والعلمية للإمام الجرجاني وآثاره. ثم التعريف بكتاب الدلائل ومكانته بقلم الشارح محمد رشيد رضا.

ليمهد القسم الثاني بمدخل لكتاب دلائل الإعجاز ثم تليه فاتحة المصنف في مكانة العلم ليعقبها بالكلام في الشعر لتتوالى بعده فصول بلغ عددها الثلاثة عشر فصلا، منها:

---

[1] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، ص10.

[2] نجاح أحمد عبد الكريم الظهار، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية، إشراف علي محمد حسن العماري، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1407هـ / 1408هـ، 1987م / 1988م، ص 23.

فصول في تحقيق القول في البلاغة والفصاحة وفصول في الكناية والاستعارة، فصول في النظم ثم فصول في التقديم والتأخير وفصل آخر في تقديم النكرة على الفعل وعكسه.

لنجد بعد ذلك أربعة أبواب تحت كل باب عدد من الفصول. فالباب الأول بعنوان الحذف ونكته، ومن بين ما اندرج تحته من الفصول نذكر: فصل بالقول في الحذف، وفصل بالقول على فروق في الخبر وفصل في الذي خصوصا ثم أتى بقول في الفصل والوصل.

والباب الثاني في اللفظ والنظم وفيه فصول شتى في أمر اللفظ والنظم فيها فضل شَحْذٍ للبصيرة وزيادة كشف عما فيها من السريرة.

ليليه الباب الثالث في القصر والاختصاص، وفيه فصول في "إنما" وفصل في النفي والإثبات، وفصول أخرى في اللفظ والنظم وهو –الإمام– في كل مرة يعود للحديث عن الفصاحة، البلاغة، النظم، الكناية، الاستعارة، التشبيه،....

وأخيرًا، الباب الرابع على التفاضل بين النظم، وفيه بيان علل التفاضل في نظم الكلام، وهو مقصد هذا العلم وبيت القصيد منه؛ إذ اختتمه بفصلين في غاية الأهمية:

أولهما أهمية الكلام وعلة وجوده بنظمه لا بألفاظه المفردة، وثانيهما في الذوق، وفيه بيان أن العمدة في إدراك البلاغة الذوق والإحساس الروحاني، ليختم الكتاب بعدة فهارس عامة.

وعمومًا، فقد بدأ الجرجاني كتابه بمقدمة وجيزة تكلم فيها على أصول النحو ومدى ارتباطه بالنظم، وعلى فضل العلم والمعرفة، وحسن الأداء اللغوي، وبهما يبلغ الأديب، والشاعر بخاصة، مرحلة الإعجاز.

وبيّن أهمية الشعر عند العرب، وبسط كثيرًا من علوم البلاغة بسطًا مختلفًا عن المعهود. وهو لم يختر كل علوم البلاغة، لأنها ليست هدفه، ولم يعرض ما اختاره عرضًا تعليميًا، لأنه لم يؤلف كتابه في البلاغة، فقد كان ينتقي الجوانب انتقاءً، ويعالجها معالجة عقلية.

ربط بين اللفظ والمعنى ربطًا عقليًا محكمًا.

استطاع أن يعالج النحو بطريقة جديدة، وعالج البلاغة مربوطة بالنحو بطريقة جديدة أيضًا. وذاك ما يحيلنا إلى منهج الإمام وأسلوبه.

*** منهجه:**

عُرف بالتكرار وكثرة الأمثلة والشرح لتوضيح الفكرة وإجلائها، ليقرّبها أكثر ما يمكن من الأذهان ويمهّد لها سبيل الإقناع؛ حيث كان يعرض الفكرة عرضًا هادئًا، ويقلب الأمر على وجوهه حتى يصل إلى النتيجة التي يسعى إليها، والهدف الذي يرمي إليه.

ومن أبرز ما وسم تأليف الإمام في كتابه نذكر:

* التكرار الذي غلب على منهجه بشكل ملفت للانتباه، إلى حد حيّر كثيرًا من الدارسين؛ إذ يذكر الفكرة مرارًا، مما أسبغ على أسلوبه الجمل الطويلة والمتداخلة.[1]

والحق أن التكرار في كتابه لم يكن تكرارًا بالمعنى الحرفي، لأن الكلام لم يكن يُكرَّر كما هو، ولكن يُعاد الموضوع بطريقة غير الطريقة الأولى لتعدّد زوايا التناول وأهدافه.[2]

* الإقناع، ويقوم هذا الأسلوب على المنطق والتعليل؛ حيث بنى عبد القاهر منهجه في كتابه على المحاورة بهدف الإقناع العقلي، إثبات ما يريد في قضية إعجاز القرآن، مستخدمًا المفردات التي تحث المتلقي على إعمال عقله لمعرفة الأسرار وفهم الأسباب، مستعملًا مفردات تلفت انتباه المتلقي ليفهم مقصوده، ثم يقنعه به.

وهكذا كان ديدنه في الكتاب كله؛ يستعمل الدليل وراء الآخر حتى تتجمع الدلائل[3]، وذلك ما نلمسه في قوله: "وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لا بد لكل كلام".

تستحسنه هو لفظ تستجيده من أن يكون استحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل.[4]

* إيراد الشاهد والمثل: اعتمد عبد القاهر على إيراد الشاهد والمثل لبيان فكرته ، من أجل المضي شرحًا وتفصيلًا للفكرة التي بين يديه. ومن ذلك حديثه عن الحذف وقيمته البلاغية وأثره في جمال النظم، إذ استحضر مجموعة من الشواهد الشعرية. ومن ذلك أيضًا أمثلته على صِيَاغات مختلفة لهمزة الاستفهام، كقولنا :أأنت الذي بنيت الدار ؟

---

[1] مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، لبنان (د.ت)، ص20.

[2] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، ص13.

[3] ناريمان عبد القادر يوسف، قراءة في منهجية عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، مجلة رؤى فكرية، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة سوق أهراس، ع8، أوت 2018، ص177–178.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص41.

لسؤالنا عن الفاعل، وقولنا أبنيت الدار التي ... ؟ لسؤالنا عن المفعول به ، لبيان ما لهذه الأساليب من دقائق بلاغية ومعانٍ إضافية، تُصاغ وفق اختيار المتكلم وإرادته.[1]

* استشهاده بالشعر أكثر من القرآن: فرغم أن الكتاب معنِيٌّ بدلائل الإعجاز، لم يحوِ علاجًا مطولًا لأيٍّ من آيات القرآن، إذ لم تُتخذ الأساس في تطبيق فكرته، وكان من المنتظر أن يكون القرآن هو المحور لبيان الفصاحة والبلاغة. فطرح السؤال نفسه: لماذا استشهد الإمام بالشعر أكثر من القرآن؟

وضع الإمام العلم باللغة والعلم بالشعر أساسين للبحث عن الإعجاز. والعلم بالشعر يعني العلم بنقد الشعر فهمًا وتذوقًا، وقدرةً على الموازنة والمفاضلة، مع التعليل بوضع اليد على الخصائص والعلل التي يُفضل بها شعر عن شعر، ونظم عن نظم. وقد اتسعت خطته مع التناول التفصيلي لسائر الفصول، إذ توسَّل بالشعر كثيرًا في كل ظاهرة أسلوبية يريد للقارئ إدراك نظيرها في القرآن. فكان الشيخ يتوسل بما يعرفه العرب في لسانهم إلى معرفة ما يوجد في القرآن، وإن كان النظير في القرآن معجزًا. لهذا لم يكن عجيبًا أن يستشهد الشيخ بالشعر كثيرًا، حتى صارت شواهده هي الأكثر من غيرها.[2] فالشعر قابل لتطبيق الأحكام النقدية السلبية و الإيجابية ، و أما القرآن فلا .

كان من بين خصائص منهج الإمام في عرض الأمثلة والشواهد: الموازنة بين ألوان الشعر المختلفة، أو بين الشعر والنثر، وهو بذلك يسعى إلى صقل ذوق المتلقي من خلال التمييز بين مستويات النظم المختلفة، ليدرك يقينًا سمو مستوى النظم القرآني، واستحالة مقارنته بما سواه.

* روافد أمدّت فكره[3]، فكان الإمام عبد القاهر يؤلف وأفكار السابقين مهضومة في فكره؛ يستحضرها وقت ما يستلزم الأمر للمناقشة أو الاستشهاد أو الاستئناس، فلم يكن يؤلف وكتب الآخرين مبسوطة بين يديه، ولكنه كان صاحب فكر وقضايا يطرحها، ومصنفات الآخرين من خلفه بعد أن تمثّلها في عقله.

---

[1] عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ، العربية السعودية ، (د. ط) ، (د. ت) ، ص 157 .

[2] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، ص16. يُنظر أيضًا: أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، بيروت، ط1، 1393هـ – 1973م، ص13.

[3] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، ص 21.

وكان أكبر اهتمامه بفكر الجاحظ، وابن جني، وسيبويه؛ فعلمه بالشعر إنما هو اقتفاء لأثر الجاحظ، ومزجه بين اللغة والفكر على منهج ابن جني، كما تأثر بالخطابي في أصل فكرة النظم، فوصلت البلاغة بالإعجاز. كما تأثر بالآمدي والجرجاني في فكرهما النقدي للموازنات، إذ رأى ضرورة تمرّس الباحث في الإعجاز بالمفاضلة بين نظم ونظم ، ومعرفة طبقات الكلام ودرجاته، ليكون ذلك مقدمة للنظر في نظم الشعر ونظم القرآن، ليتبيّن الفصل والفرقان.

لا يسعنا في هذا المقام حصر خصائص منهج الإمام في كتابه، ولكن يمكن القول إن الطابع الغالب عليه هو بالغ اعتباره لذهن المتلقي وأغوار نفسه، من خلال سعيه الجاد إلى بلوغ أعلى درجات الفهم والاستيعاب لديه، وكذلك تنمية مهاراته الذوقية، وإكسابه الوسائل والأدوات التي تمكّنه من الموازنة بين مستويات النظم.

التحليل النفسي للنصوص البلاغية قبل الجرجاني:

إن القارئ لكتاب دلائل الإعجاز سيجد أن عبد القاهر يكرر كلمات هي واضحة الدلالة على الأثر الذي يعترض النفس عند تلقيها للنصوص الأدبية، كقوله: الأنس، الطرب، الوحشة، الأريحية، الاضطراب، النفرة. وذاك ما عُرف بالنزعة النفسية التي تفرد بها أسلوبه، لتكون محطة مهمة للدراسات النقدية اليوم.

والإمام الجرجاني لم يكُ بدعًا في اعتنائه بالأثر النفسي، بل من النقاد الذين سبقوه من كانت لهم إشارات، سنحاول هنا تقصي وقفات موجزة منها، للتدليل على قِدم هذه العناية في مؤلفاتهم.

*** الجاحظ (ت 255هـ)[1]:**

وذلك في حديثه عن فضيلة إبانة اللفظ عن المعنى الذي يريد المتكلم إيصالَه إلى الآخرين، بحيث يكون خاليًا من عوارض التكلف والعي والفساد، وإلا فإنه سيوقع في نفس المتلقي السماجة والاستكراه، وهي دلالات على الأثر السلبي الذي يلحق بالنفس الإنسانية عند وجود هذا الخلل البياني.

[1] عبد الله عبد الرحمن أحمد با نقيب ، البلاغة والأثر النفسي ، دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد الأدبي، إشراف: صالح سعيد الزهراني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، كلية اللغة العربية ، فرع البلاغة والنقد الأدبي، 1422هـ / 2002م، ص 16.

يقول الجاحظ: "ومتى شاكل – أبقاك الله – ذلك اللفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحالة وِفقًا، ولذلك القدر لَفَقًا، وخرج عن سماجة الاستكراه، وسلِم من فساد التكلف، كان قمينًا بحسن الوقع وبانتفاع المستمع"[1]، فاتصاف اللفظ بتلك الخصائص الجمالية، يجعله ذاوقع حسن في النفس المتلقية، مما يُؤذِن بالتواصل وعدم الانقطاع.

*** ابن قتيبة (ت 276هـ):[2]**

طرق بعض النواحي الفنية والنفسانية من إنتاج الشعر، فذكر أن للشعر دواعيَ تحث البطيء، وتبعث المتكلف منها: الشراب، الطمع، الطرب، الغضب، الشوق.

ووصف كذلك الأماكن والأوقات التي يُسرع فيها أتيُّ الشعر ويُسمَحُ به، وفرّق بين الشعراء من حيث الطبع، وبنى على هذا اختلافهم في إجادة بعض الفنون الشعرية. فهذا ذو الرمة مثلًا: أحسن الناس تشبيبًا، وأجودهم تشبيهًا، وأوصفهم لرمل وهاجرة... فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع.

*** ابن طباطبا العلوي (ت 322هـ):**

إن عيار الشعر عنده هو أن يُورَد على الفهم الثاقب، الذي هو أساس من أسس التلقي في نظره؛ فبدونه تفقد عملية التلقي تواصلها واستمراريتها، لأنه لا تَلقّيَ بدون فهم واعٍ يُسَيّر أبعاد النصوص.

فابن طباطبا يجعل الفهم كحاسة سادسة؛ فهو يأنس ويرتاح، وفي المقابل يستوحش وينفر ويتأذي، وكل هذه مواقف نفسية ترجع إلى طبيعة النفس الإنسانية؛ ذلك أن النفس تسكن إلى ما وافق هواها، وتقلق مما يخالفه. [3]

---

[1] الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ط1، تحقيق وشرح: حسن السندوبي، قدّم له ونقّحه وأعدّ فهارسه: مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم، 1414هـ / 1993م، ج2، ص 384.

[2] محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1366هـ / 1947م، ص 19.

[3] عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1421هـ/ 2000م، ص 172.

والأحوال التي تتصرف بها النفس في الاهتزاز والأريحية والطرب دلائل على تقبل النفس الإنسانية للأثر البياني، والقلق والوحشة دلائل على عدم تقبل النفس لخللٍ ما في التصور أو التركيب البياني.

الفهم عنده إذًا ليس عملًا ذهنيًا فقط، وإنما هو عمل يجتمع فيه العقل والنفس والروح، لذلك فهو معقّد وحسّاس.

*** القاضي أبو الحسن الجرجاني (ت 366هـ):**

في مقدمته لكتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه، بحث سيكولوجيا أهل النقص، وما يدفعهم إلى حسد الأفاضل وانتقاص الأماثل، وحلّل الملكة الشعرية، فرجعها إلى الطبع، والرواية، والذكاء، وجعل الدربة مادة لها، وقوةً لكل واحد من أسبابها.

ويرجع أبو الحسن اختلاف أحوال الشعر، من رقة أو صلابة، ومن سهولة أو وُعُورة، إلى اختلاف الطبائع وتركيب الخَلْق؛ فسَلالة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخِلقة، فالجافي الجَلْف كز الألفاظ، معقّد الكلام، وعر الخطاب.

ومما فطن له أبو الحسن رجوع القارئ إلى نفسه، وتأمل حالها عند إنشاد الشعر الرقيق، وتفقد ما يتداخلها من الارتياح ويستخفها من الطرب، و يتصوّر تلقاء ناظرها من سابق ذكرياتها إذا سمعت هذا الشعر.[1]

*** الرماني (ت 386هـ):**

كان كثيرًا ما يكشف عن الأثر البياني للتعبير القرآني في العواطف والنفوس، كوقوفه مثلًا عند الآيات التي اشتملت على استعارات لطيفة، وفضل الأسلوب المجازي في تلك المواضع على الحقيقة.[2]

من ذلك قوله تعالى:﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[3]، يقول أبو الحسن: "تنفّس" هنا مستعار، وحقيقته: "إذا بدأ انتشاره"، و"تَنَفَّسَ" أبلغ منه، ومعنى الابتداء فيها، إلا أنه في التنفس أبلغ، لما فيها من

[1] محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، المرجع السابق، ص20.

[2] عبد الله عبد الرحمن أحمد يانقيب، البلاغة والأثر النفسي: دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني، ص 22.

[3] سورة التكوير، آية 18.

الترويح عن النفس.[1]

*** الخطابي (ت 388هـ):**

تحدث عن وجه من الإعجاز القرآني لا يكاد يعرفه إلا قلة من الناس، وهو ما يفعله القرآن من تأثير في القلوب والنفوس، وكيف أنه يوقع فيها اللذة والحلاوة في حال، كما يوقع الروعة والمهابة في حال أخرى.

وبهذا يكون الخطابي قد جعل التأثير النفسي الذي يحدثه القرآن الكريم وجهًا من وجوه الإعجاز، وفي ذلك دليل كبير على مقدار رعايته بالأثر النفسي وأهميته في النصوص التي بلغت شأوًا بعيدًا في البلاغة والبيان.

يقول الخطابي: "قلت في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس . فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن، منظومًا كان أو منثورًا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب.

يحول بين النفس وبين مضمراتها، وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفُتَّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانًا"[2].

---

[1] علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ط4، حققها وعلق عليها: حمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص 90.

[2] أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 70.

*** القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392 هـ):**

هو من النقاد الذين كان لهم إسهام واضح في عناية عبد القاهر الجرجاني بالأثر النفسي، ودليل ذلك أن عبد القاهر استشهد له بنص يشير فيه القاضي إلى الأثر الجمالي الذي يلحق بالنفس الإنسانية عند إعجابها أو استحسانها لنص ما.

يقول الجرجاني في معرض حديثه عن أحد أسباب حسن التمثيل، وهو أن مجرد المشاهدة تزيد النفس أنسًا، فربما تقول: "فلان إذا همَّ بالشيء لم يزل ذاك عن ذكره وقلبه، وقصَر خواطره على إمضاء عزمه، ولم يشغله شيء عنه"، فلا يكون له من الحسن والجمال في النفس ما يكون لقول الشاعر: إذا هَمَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ[1].

يقول عبد القاهر عما تلاقيه النفس عند ورود هذا البيت عليها: "امتلأت نفسك سرورًا، وأدركتك طربة، كما يقول القاضي أبو الحسن، لا تملك دفعها عنك"[2].

من هذا النص يتبين أن عبد القاهر ينص على قول القاضي الجرجاني في حديثه عن الأثر النفسي الذي يحدثه قول الشاعر في النفس الإنسانية، لأن السرور والطرب إشارات إلى الأثر الجمالي الذي يتيحه ذلك القول.

لذلك، فإن اقتباس عبد القاهر لنص القاضي الجرجاني، والذي كان مفعمًا بالأثر النفسي، دليل واضح على تأثره في هذا الجانب بالقاضي.

وللقاضي الجرجاني في كتابه "بين المتنبي وخصومه" وقفات متعددة وملحوظة، يتبين فيها اهتمامه الواضح بالأثر النفسي الذي يبعثه البيان في النفس الإنسانية.

*** الباقلاني (ت 403 هـ):**

كتب الإمام أبو بكر الباقلاني نصًا من أوفر نصوص التراث عنايةً بالأثر النفسي، إذ كانت له وقفات موفقة تكشف عن قدرة فذّة في إدراك الأثر النفسي الذي يعرو النفس

---

[1] ابن ناشب المازني وتمامه، ونكب عن ذكر العواقب جانبًا، أحمد بن محمد بن المسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ط1، تحقيق أحمد أمين عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، 1411 هـ / 1991 م، ج1، ص 73.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط1، قراءة وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1412 هـ / 1991 م، ص 129.

الإنسانية عند تلقيها للنص القرآني، سواء أكان هذا الأثر أثر بهجة وفرح وأريحية وطرب وأنس، أم أثر قلق وذهول وشجى وهزٍّ للأعطاف.

يقول الباقلاني: "فالقرآن الكريم أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه، ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه، من تعديل نظمه وسلامته، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفوس موقع القبول، وتصوُّره تصور مشاهد، وتشكُّله على جهته حتى يحل محل البرهان. ودلالة التأليف مما لا يُنحصر حسنًا وبهجة وسناء ورفعة"[1].

وربما ليس من المغالاة القول بأنه لا يوجد كتاب من كتب الأدب والنقد القديم إلا وفيه إشارات إلى الأثر النفسي الذي يتركه البيان في النفس الإنسانية.

فهذا أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) يقول: "إنما الشعر ما أطرب، وهزَّ النفوس، وحرّك الطباع".

والشعر في تصور ابن رشيق لا يكون شعرًا إلا بمقدار ما يثيره في النفس الإنسانية من طرب وهزّة وتحريك لها، إذ إن هذا الأثر النفسي هو باب الشعر الذي يجعل له قيمة ومكانة، فبدونه يصبح الشعر وغيره من ضروب الكلام في مكانة واحدة، لا تفاوت فيها[2].

[1] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ط3، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ص 276–277.

[2] عبد الله عبد الرحمن أحمد بانقيب، البلاغة والأثر النفسي: دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني، ص 30–31.

خلاصة:

يعتبر عبد القاهر الجرجاني شيخ العربية وإمام النحاة ،واضع أسس البلاغة ، والمشيد لأركانها، ذو الشخصية القوية الفذة، التي كانت هي العامل في تميزه ، من خلال انكبابه على الدرس وتحصيل العلوم، ليجعل من نفسه علما عظيما في زمن الانحطاط الثقافي ـ القرن الخامس الهجري ـ حيث أهمل الشعر، وانصرف عن النحو ، ليخرج آنذاك كتابه الدلائل، فيرفع من شأن الشعر، ويؤكد وطادة العلاقة بين النحو والبلاغة ،ويعيد للنحو مكانته، بل ويزيد له الاعتبار بنظريته في النظم الذي ربطه ارتباطا وثيقا بالإعجاز سابغا أسلوبه بالنزعة النفسية التي اعتبرها شرطا من شروط بلاغة الأدب يضمن له الامتناع والقدرة على التأثير في النفوس.

الفصل الأول:

المعاني النفسية في "دلائل الإعجاز"

تمهيد:

تمثل النزعة النفسية تجل لعمق رؤية الإمام الجرجاني البلاغية في دلائله ، والتي تجـاوزت ظاهـر اللفـظ إلى باطـن المعنى ، لتتعـدى عنايته البنية الشكـلية للكـلام إلى استكشاف الأبعاد النفسية الكامنة وراءه . فالجرجاني يرى أن جوهر البلاغة لا يكمن في المفردات منفردة ولا في تراكيبها الظاهرة فحسب، بل في المعاني التي تتولد عنها، وفي الدوافع النفسية التي تحرّك المتكلم وتوجه خطابه .

وفي هذا السياق، تبرز أهمية "المعاني النفسية" بوصفها مدخلًا لفهم أسرار النظم، إذ تتأسّس الدلالة – في نظر الجرجاني – على النية والقصد، وهما العنصران اللذان يمنحان الكلام صورته البلاغية وفعاليته التأثيرية. ومن هنا تتضح علاقة البلاغة بترتيب المعاني بحسب ما يقتضيه المقام، ووفق ما يُمليه حال المتكلم ومقاصده ونياته ، وهو ما يُعدّ من ركائز نظرية النظم التي بنى عليها الجرجاني تصوّره لإعجاز القرآن الكريم .

المبحث الأول: مفهوم المعاني النفسية عند الجرجاني

تمثل المعاني النفسية أحد الأركان الأساسية في نظرية النظم التي شيدها عبد القاهر الجرجاني، وهي في جوهرها انعكاس دقيق لحالة المتكلم النفسية ولانفعالاته ونياته أثناء التعبير، وقد سعى الجرجاني من خلال هذه المعاني إلى تجاوز النظرة التقليدية التي تختزل البلاغة في اللفظ وحده، متجها نحو فهم أعمق للتعبير اللغوي بوصفة فعلا نفسيا وعقليا قبل أن يكون تركيبا لفظيا.

المطلب الأول: تعريف المعاني النفسية

"المعاني النفسية" مصطلح مركب ينشطر إلى شقين هما: " المعنى" و"النفس" يستوجب الوقوف عندهما معجميا وعند أهل التخصص.

1. تعريف المعنى:

عَنَاهُ الأَمْرُ يَعْنِيهِ ويَعْنُوهُ عِنايَةً وَعَنايَةً وعُنِيَّاً: أَهَمَّه . واعْتَنَى به: اهْتَم. وعُنِي، بالضم، عناية، وكرضِيَ قَليل، فهو به عَنِ وَعَنِيَ الأمْرُ يعنى: نَزَلَ، وحَدَثَ، وفيه الأكْلُ: نَجَعْ، يَعني، كَيَرْمِي ويَرْضَى، و– الْأَرْضُ بالنَّبَاتِ: أَظْهَرَتْه وبالقَوْلِ كَذَا: أَرَادَ ومَعْنَى الكلام ومَعْنِيُّه ومَعْناتُه ومَعْنِيَّتُه: وَاحِدٌ. وَعَنَى عَناءَ، وَتَعَنَّى: نَصِبَ، وَأَعْناهُ وعناهُ، والعَنْيَةُ، بالفتح: العَناءُ. وَتَعَنَّاهَا: تَجَشَّمَها. وعَناء عَانٍ ومُعَنْ مُبالَغَةٌ، وعاناهُ: شاجَرَهُ، وقاساهُ، كَتَعَنَّاهُ. والعنيانُ: العُنْوانُ. وقد أغناه وعَنَّاهُ وَعَمّنَه. وَعَنِي، كَرَضِيَ: نَشِبَ في الإسارِ. والمُعَنِّى، كَمُعَظْمٍ: فَرَسٌ. وَمَا يُعَانُونَ ما لَهُمْ: ما يَقُومُونَ عليه[1].

ب. المعنى في الاصطلاح:

المعاني: هي الصور الذهنية من حيث إنه وضع بإزائها الألفاظ والصور الحاصلة في العقل، فمن حيث إنها تقصد باللفظ سميت معنى، ومن حيث إنها تحصل اللفظ في العقل سميت مفهوما، ومن حيث إنه مقول في جواب ما هو سميت ماهية ومن حيث ثبوته في الخارج سميت حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار سميت هوية[2].

---

[1] الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 8، 2005، ص1316.

[2] علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، طبعة جديدة، 1985م، ص 235، 236.

والمعنى: هو المفهوم من ظاهر اللفظ وانفهامه منه صفة للمعنى دون اللفظ فلا اتحاد في الموضوع والذي تصل إليه دون واسطة، ومعنى المعنى: هو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي لك ذلك المعنى إلى معنى آخر[1].

2. تعريف النفس:

أ. النفس في اللغة:

- النفسية:

نسبة إلى النفسِ والنَفَس

لغة: "نفس: النَّفسُ: الرُّوحُ"[2]

و(النَّفْسُ): الرُّوح. ويقال: خرجت نفسه، وجاد بنفسِه: مات. و- الدّمُ.

يقال: دفقَ نَفْسَهُ. و- ذاتُ الشيء وعينُه. يقال: جاء هو نفسهُ أو بنَفسِهِ. (ج) أَنْفُسٌ، ونُفُوسٌ. ويقال: أَصابته نفسٌ: عينٌ. وفلان ذو نَفْس: خُلُق وجَلَد، ويقال: في نَفْسِي أن أفعل كذا: قصدي ومُرادي. وفلان يؤامر نفسيه: له رأيان لا يَدْرِي على أَيُّهُمَا يثبت[3].

ب. النفس في الاصطلاح:

النفس في الاصطلاح عند العلماء المسلمين، تشمل قلب الإنسان وعقله وروحه، وفي كتب الخاصة دراسة كنه النفس وحقيقتها وجوهرها كما يكون في كتب أخرى دراسة أفعال القلب وصفاته مرتبطا بأعمال الجوارح، أي علم احوال النفس، حيث يدرس فيه الإنسان من حيث هو كائن يعيش في مجتمع يتأثر ويؤثر فيه ويحب، ويكره، ويغضب، ويفكر... وهو لا يفصل بين ما هو نفسي وما هو جسمي. وإنما ينظر إلى الظاهرة النفسية على أنها ظاهرة تنبعث عن الإنسان من حيث هو وحدة متكاملة فعالة"[4].

---

[1] أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوري، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، ص 842.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (نظم)، ص 4500.

[3] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، مادة (نفش)، ص 878.

[4] عبد الكريم العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1981م، ص16.

لقد أدرك عبد القاهر الجرجاني بعمق أن البلاغة الحقيقية لا تتحقق بمجرد انتظام الألفاظ وفق قواعد النحو، بل تكمن في الأثر النفسي الذي تحدثه هذه الألفاظ عند المتلقي وهو ما يعرف بـ "المعنى النفسي" وقد عبر عن هذا المفهوم بدقة في قوله:

"اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في السمع، بل تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها في النفس"[1].

يوضح "عبد القاهر الجرجاني" في هذه المقولة أن النظم ليس مجرد ترتيب للألفاظ على نحو يسمعه السامع، بل هو بناء دقيق يقوم على أساس علم النحو، حيث ترتب الكلمات وفقا لقوانينه، وأصوله التي تعنى بتنظيم المعاني قبل الألفاظ. فالغرض من النظم كما يبين لا يتحقق بمجرد توالي الكلمات صوتيا، بل يتحقق حين تتناسق دلالات الألفاظ وتتآلف معانيها في النفس، فتحدث أثرا شعوريا ومعنويا عميقا عند المتلقي. وهذا هو جوهر البلاغة عند "الجرجاني".

ويقول أيضا: "اللفظ تبع للمعنى في النظم، والمعنى هو الذي يرتب أولا في النفس، ثم تطلب له الألفاظ التي تؤديه"[2].

يقصد أنه حين يريد الإنسان أن يتكلم أو يكتب، لا يبدأ بالكلمات أولا، بل يفكر بالمعنى الذي يريد أن يقوله. يرتب أفكاره في ذهنه أولا، ثم بعد ذلك يختار كلمات مناسبة لهذه الأفكار، فالكلمات تأتي بعد المعاني، وهي مجرد وسيلة لنقل المعنى إلى السامع أو القارئ.

يتضح من خلال ما قدمه "عبد القاهر الجرجاني" أن المعاني النفسية تعد الركيزة الأساسية في عملية التعبير البلاغي، إذ تسبق الألفاظ في الوجود والتكوين وتتحكم في اختيارها وتنظيمها، وقد رسخ الجرجاني هذا المفهوم من خلال "نظرية النظم"، مؤكدًا أن بلاغة الكلام لا تنبع من الألفاظ ذاتها، بل من دقة تمثيلها لما في النفس من معان ومقاصد. ومن هنا فإن إدراك المعاني النفسية يعد المدخل الحقيقي لفهم أسرار البيان والبلاغة في اللغة العربية.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ط1، 1991م، ص 45.

[2] المصدر نفسه، ص 46.

المطلب الثاني: الفرق بين المعاني النفسية والمعاني اللغوية.

المعاني اللغوية هي المعاني التي تحملها الألفاظ في ذاتها، كما نجدها في المعاجم أو القواميس، أما المعاني النفسية، فهي تلك التصورات والأحاسيس التي تنشأ في نفس المتكلم قبل أن يعبر عنها بالألفاظ، وبذلك تكون المعاني النفسية أسبق زمنيا وذهنيا في ترتيب الكلام، وهي التي تحدد ما إذا كان اللفظ مناسبا أو غير مناسب، بليغا أو باهتا، وقد عبر الجرجاني عن هذا الفرق بقوله: " فإذا تأملت ذلك، علمت أن الكلام إنما هو في الحقيقة عبارة عن المعاني التي في النفس، وأن الألفاظ إنما هي وسائل إلى إبلاغ تلك المعاني"[1].

يفصل الجرجاني بين المعنى النفسي (الذي يخطه الذهن) والمعنى اللغوي (الذي تحمله الكلمة في القاموس). فالكلام ليس كلمات تجمع فحسب، بل ترجمة لأفكاره داخلية، الألفاظ ليست غاية، بل وسيلة، فكل بلاغة تبدأ من داخل المتكلم.

ومن بين الذين تحدثوا عن الفرق بين المعاني النفسية والمعاني اللغوية، يشير "محمود شاكر" إلى أهمية المعنى الكامن في النفس قبل التعبير عنه حيث يقول: "ليس المعنى هو ما تنطق به الألفاظ، وإنما هو ما يكون في النفس من قصد يدفع إلى التعبير"[2].

وعن تطور دلالة الألفاظ، ويفرق بين دلالة الألفاظ بحسب العرف اللغوي، وبين ما تحمله في النفس من معان قد تتجاوز القاموس، حيث قال: " وقد لاحظنا أن الألفاظ لا تقتصر على دلالتها المعجمية، بل كثيرًا ما تصاحبها دلالات نفسية تختلف باختلاف المواقف. فلكل لفظ دلالة نفسية قد تتسع أو تضيق حسب السياق الذي ترد فيه، وحسب ما يضفيه عليه شعور المتكلم وموقفه النفسي والاجتماعي"[3].

وتحدث "تمام حسان" أيضاً عن المعاني النحوية والعلاقات التي تربط بينها، حيث قال: " مجموعة من المعاني النحوية الخاصة، أو معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية والحالية الخ.. مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة، وتكون

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 50.

[2] ينظر: محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، القاهرة، مطبعة المدني، (د ت)، ص 66.

[3] ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، القاهرة ، 1972م، ص 18.

قرائن معنوية عليها، حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية"[1].

ولنوضح ما سبق أكثر يمكننا إدراج جدول توضيحي عبارة عن مقارنة بين المعاني النفسية والمعاني اللغوية كالآتي:

وجه المقارنة	المعاني اللغوية	المعاني النفسية
التعريف	المعنى الناتج عن الألفاظ وتركيبها وفق قوانين اللغة	المعنى الكامن في النفس. يتكون قبل التلفظ، وهو قصد المتكلم وغرضه من الكلام
الزمن في عملية التعبير	يظهر بعد التلفظ ويفهم من خلال اللغة والسياق	يسبق التلفظ ويقود إليه هو المرحلة الأولى في إنتاج الكلام.
الطبيعة	موضوعي، خارجي، يدرك من خلال النص أو المنطوق	ذاتي، داخلي، غير محسوس مباشرة، يرتبط بالعقل والشعور
الاعتماد	يعتمد على الألفاظ النحو، الدلالة والسياق	يعتمد على نية المتكلم وخياله وإدراكه الذهني
العلاقة بالسياق	يشكل لدى السامع من خلال تفسير النص ضمن سياقه اللغوي والثقافي	يشكل في ذهن المتكلم استنادا إلى موقف معين أو تجربة
من أبرز من تناولها	أهل المعاجم ، وعلماء اللغة والدلالة كإبراهيم أنيس، تمام حسان، وغيرهم	عبد القاهر الجرجاني، ومحمود محمد شاكر، تمام حسان.
مثال توضيحي	الكلمات مثل: "أخاف" "أرهب"، "أخشى" تمثل المعنى اللغوي لتلك الحالة النفسية.	حين يريد المتكلم التعبير عن "الخوف"، يشعر به أولا (نفسيا) ثم يختار كلمات للتعبير عنه

يتبين من خلال ما سبق أن المعاني النفسية تمثل الأصل في عملية التخاطب؛ إذا تنشأ أولاً في ذهن المتكلم بوصفها مقاصد ودوافع داخلية، ثم يصاغ لها التعبير اللغوي المناسب عبر المعاني اللغوية التي يتيحها النظام اللغوي. فالمعنى النفسي هو الجوهر الذي يسعى المتكلم إلى نقله، والمعنى اللغوي هو الوسيلة التي تعبر عنه.

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، عالم الكتب، ط5، 2000م، ص37.

ويجمع الباحثون على أن إدراك هذا التمايز يعد أساسا لفهم بلاغة النظم عند عبد القاهر الجرجاني؛ إذ لا يتحقق الإعجاز في النص إلا حين ينجح النظم في ترجمة تلك المعاني النفسية بأدق صورة لغوية ممكنة.

المبحث الثاني: دور النية والقصد في تشكيل المعنى.

يشغل مفهوم النية والقصد موقعا مركزيا في النظرية البلاغية لعبد القاهر الجرجاني، حيث يعدان الأساس الذي تنبني عليه دلالة الكلام، وحيث لا يفهم المعنى على حقيقته إلا في ضوء إدراك غرض المتكلم ومقصده من التركيب، وقد أفرد الجرجاني لهذا البعد اهتماما خاصا في كتابه دلائل الإعجاز، مؤكدا أن الألفاظ لا تفهم في ذاتها، وإنما تفهم بما يؤول إليه من ترتيب نفسي ومعنوي سابق على اللفظ، وأن إدراك البلاغة رهين بفهم ما أراده المتكلم في نفسه قبل أن ينطق.

المطلب الأول: نظرية النظم وعلاقتها بالقصد.

ولكشف حقيقة هذه النظرية نتوقف أولا عند مدلولاتها اللغوية والاصطلاحية.

1. النظم في اللغة:

جاء في معجم العين: "نظم": النظم نظمك خرزاً بعضه في نظام واحد، وهو في كل شيء حيث قيل: ليس لأمره نظام أي لا تستقيم طريقته، والنظام: كل خيط ينظم به اللؤلؤ أو غيره فهو نظام"[1].

يشير إلى أن "النظم" هو جمع الأشياء وربطها بخيط واحد كعبات الخرز، ويطلق "النظام" على هذا الخيط الذي يجمع به.

وجاء في لسان العرب: "نَظَم": النَّظْمُ التأليف نَظَمَه نظمًا ونِظامًا ونَظَمَهٍ فَانْتَظَمَ ونَظَّمْتُ اللؤلؤ أي جمعته في السّلك، والتنظيم مثله، ومنه نَظَمْتُ الشعر ونَظَّمته ونظم المَنظُومُ وصف بالمصدر، والنَّظْمُ: ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرها"[2].

يقصد "بالنظم" أنه الترتيب والتأليف الكلام، حيث قال نظم الشعر أي ربط ألفاظه ومعانيه بشكل مرتب.

أما في القاموس المحيط "النظم": التأليف، وضم الشيء إلى شيء آخر، والمنظوم والجماعة من الجراد وثلاث كواكب من الجوزاء والثريا والدبرات، ونظم اللؤلؤ نظما ونظاماً

[1] الخليل ابن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي دار الهلال، د. ط، د. ت، ج8، ص165.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ظ م)، ص4469.

ونظمه: ألفه، وجمعه في سلك، فانتظم، وانتظمه بالرمح: اختله، والنظام: كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه"[1].

النظم" في المحيط " هو التأليف وضم الأشياء بعضها إلى بعض، مثل نظم اللؤلؤ في خيط، أي جمعه وترتيبه في نسق متماسك. والنظام " هو الخيط الذي تربط به هذه الأجزاء، مما يدل على أن النظم أساس في تحقيق الوحدة والترابط.

في الأخير نستنتج أن النظم في اللغة يعني التأليف، والضم، والجمع والترتيب. فهو وحدة مترابطة تحقق انسجاما واتصالاً بين العناصر.

2. النظم في الاصطلاح:

ورد في معجم التعريفات:

النظم هو تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل وقيل الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقضيه العدد"[2].

وورد في معجم المصطلحات في اللغة والأدب بأن النظم هو:

"التأليف الشعري عامة الذي يلتزم قواعد متواضع عليها من حيث الوزن خاصة والعروض عامة، والنظم shucture عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471): تركيب الكلمات والتنسيق بينها بحيث يأخذ بعضها بجنب بعض. ولذلك يوجب على الأديب أن يدرس النحو إذا به يعرف ما ينشأ عن الكلمات، حين تتغير مواضعها، من المعاني المتجددة المختلفة. وينكر عبد القاهر مكان الجزء بمفرده في بناء العمل الأدبي، فالكلمة المفردة لا قيمة لها عنده قبل دخولها في التركيب ودليل ذلك أنك ترى الكلمة فتروقك في موضع، ثم تراها هي بعينها في موضع آخر فتعافها. فالبلاغة عند عبد القاهر ترجع إلى اللفظ، لا لذاته بمفرده، بل باعتبار إفادته المعنى عند التركيب، وقوام الأدب في نظره

[1] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسومي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1998م، ص 1162.

[2] علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، طبعة جديدة، 1985م، ص 235 – 236.

المعنى واللفظ تابع له. وقد يعني النظم versification قرض الشعر أي إنشاء الأبيات الشعرية على أي نحو كان"[1].

أما عبد القاهر الجرجاني فإنه يعرف النظم بقوله :

"اعلم أن ليس "النظم" إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي لك، فلا تخل بشيء منها"[2].

وقد عرف "الجرجاني" أن مدار أمر "النظم" على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها"[3].

يضيف أيضا على تعظيم شأن "النظم" وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقيم له، ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ بتهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه، ولا قوام إلا به، وأنه القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به الاستقلال. وما كان بهذا المحل من الشرف، وفي هذه المنزلة من الفضل، وموضوعا هذا الموضع من المزية، وبالغا هذا المبلغ من الفضيلة، كان حَرّى بأن توقظ له الهمم، وتوكل به النفوس، وتحرك له الأفكار، وتستخدم فيه الخواطر"[4]

ج. نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:

يتحدث عبد القاهر عن نظريته في النظم كأساس لفهم فضيلة الكلام وبلاغته ولفهم إعجاز كتاب الله كذلك حيث ارتبط النقد عنده بفكرة الإعجاز في القرآن الكريم، فقد انطلق من كون القرآن معجزا، ثم رفض أن يكون مصدر الإعجاز الألفاظ أو الفواصل أو الاستعارة، ورأى أن الإعجاز فيه النظم أو التأليف، إذ يقول: " أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في السياق لفظة، وبدائع راعتهم من مبادئ أية ومقاطعها

[1] مجدي وهبه، كمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1984م، ط 2، باب النون، ص 414.

[2] عبد القاهر الجرجاني، ودلائل الإعجاز، ص 81.

[3] المصدر نفسه، ص 132.

[4] المصدر نفسه، ص 80.

ومجاري ألفاظها، ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظه وتنبيه واعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان وتبيان.

وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً وإلتئاما وإتقانا وإحكاما، لم يدع في نفس بليغ منهم – ولو حك بيافوخه السماء – موضع طمع، حتى خرست الألسن عن أن تدعى وتقول، وخلدت القروم، فلم تملك أن تصول"[1].

تقوم نظرية النظم عنده على أن بلاغة الكلام وجمال معناه لا يرد إلى المفردات بذاتها، بل إلى طريقة نظمها وترتيبها في الجملة، وأن هذا النظم لا يكون عشوائيا، بل يتبع قصداً ونية مسبقة من المتكلم.

ومن خلال ما ورد في كتاب "دلائل الإعجاز" يمكن أن نحدد لنظرية النظم عناصر نراها تقوم عليها أساسا وتدور كل معاني الكتاب حولها وهي[2]:

ترتيب المعاني في النفس:

فلا تنطق الألفاظ إلا على حسب ترتيب المعاني في "النفس" فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"[3] فأولى مراحل النظم تدور في الذهن حيث تتم الملاءمة بين المعنى النفسي واللفظ قبل خروجها للتأليف في عملية لغوية تبدأ بالنطق.

– التعليق النحوي:

إن الألفاظ لا توضع في التركيب كيفما كان بل توضع في تآليف مختلفة تربطها علاقات نحوية "فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض وتجعل هذه بسبب تلك"[4] ويقصد الجرجاني بمصلح "التعليق" إنشاء العلاقات النحوية من معاني النحو فتكون

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 94.

[2] محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية، علم المعاني، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، 1990م، ص 25–26.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، اعتنى به علي محمد زينو، بيروت، مؤسسة الرسالة، ناشرون، 2005م، ط1، ص 56.

[4] المصدر نفسه، ص 58.

متناسقة ومنسجمة في شبكة لغوية واحدة ، وهو يحيلنا بذلك هنا إلى مصطلح البنية الذي جاءت به الدراسات اللسانية الحديثة مع ديسوسير ابتداءً .

- **تخير الموقع:**

فيجب أن نحسن اختيار الموقع لكل لفظ، ذلك أن تعلق الألفاظ ببعضها لا يكفي" وهل يقع في وهم وعن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر في مكانه تقعان فيه من التأليف والنظم"[1]. فالموقعية تشكل دورا مهما في تحقيق جودة النظم، وترتبط بالسياق إذ قد تكون اللفظة فصيحة مؤدية للغرض في موقع، وتكون عكس ذلك في موقع آخر، والسياق اللغوي مع مراعاة المقام وغرض المتكلم هو ما يحدد الموقع المناسب للفظة ما، على حساب أخرى" وليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع" وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم"[2].

- **معاني النحو:**

وقد عني بها عبد القاهر الجرجاني أيما عناية فإذا كانت الألفاظ ترتب حسب ترتيب المعاني في النفس بحيث تتعلق بعضها ببعض وتقع موقعها الملائم من النظم فلابد من وسيلة لمعرفة الفروق الدقيقة بين نظم ونظم، والتي بها يكون التفاوت والتفاضل ومعاني النحو، غير الإعراب، فالمراد غير ذلك مما يستنبط بالفكر والروية التي يستعان بها، لأن المعاني إضافية تقوم على قوانين النحو وأصوله وتقع هذه المعاني في طوائف منها[3]:

أ. **معاني أقسام الكلم:** كالحدث والزمن، الاسمية والكنية والاستعلاء وابتداء الغاية والعطف والاستدراك.

ب. **معاني الصيغ:** كالطلب والصيرورة والاتخاذ والمطاوعة.

ج. **معاني أساليب الجمل:** كالخبر التأكيد والشرط والانشاء والطلب والتعجب.

د. **معاني أبواب النحو:** كالإسناد، التبعية، التعجبية، التعدية، الصرفية، والغائية.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 51.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 81.

[3] تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، القاهرة، عالم الكتب، ج2، ط1، 2006م، ص 334-335.

فإذا بحثنا في نظرية النظم نجد أن الكلام عند الجرجاني يقوم على ركنين أساسيين هما: القصد والإفادة فيتحكمان في العلاقة النحوية والتراكيب اللغوية.

لقد كان الجرجاني دائما منطلقا في تحليلاته من الاهتمام بالمتكلم وأغراضه ومقاصده، ثم يتوجه للسامع، ذلك أنه يبحث في كلام الله تعالى المعجز في نظامه وبنائه، فكان الجرجاني يبحث في أوجه نظم القرآن الكريم لذلك اهتم بالمتكلم وقصده (معاني النفس) ليبين عظمة الخالق وكان يرمي إلى جعل الأدب العربي والبلاغة تستفيد من نظم القرآن الكريم.

كما يتحقق مبدأ " القصد" عند الجرجاني من خلال نظريته "النظم" حيث ألحق الألفاظ بالمعاني وربطها بمقصد المستعمل لها (المتكلم)، كما أنه عندما تطرق لحالات ذكر المفعول وحذفه، رأى أن ذلك يعود إلى مراد المتكلم (قصده)، فقصدية المتكلم يقابلها عند الجرجاني "معاني النفس" التي يرتبها في ذهنه ثم يأتي بالألفاظ ليبنيها على منوال الترتيب.

ويضيف لهذه المعاني "الغرض" يعني غرض المتكلم الذي يجعله يذكر أو يحذف، أو يصب مرة ويفصل مرة أخرى.

تناول الجرجاني "الإفادة" بالتحليل رابطا إياها بالقصد، وظاهرة التعيين (التعريف والتنكير) فإذا كانت النكرة دالة على معنى شائع في جنسه، فإن المعرفة خلاف ذلك تدل على معنى مخصص معين، وكان الاهتمام بالتعيين لكونه عنصرا هاما محققا لمبدأي "القصد والإفادة"[1].

وربط بين المفهومين "التعيين" و"الإفادة" في علاقات نحوية كبرى، كالإسناد، لذلك راح الجرجاني يحلل المعاني والمقاصد الناتجة عن تلك التراكيب الإسنادية التي تشكلت يقول: "ومن فروق الإثبات أنك تقول "زيد منطلق" و"زيد المنطلق" و"المنطلق زيد" فيكون ذلك في كل واحدة من هذه الأحوال غرض خاص، وفائدة لا تكون في الباقي (...) واعلم أنك إذا قلت زيد منطلق كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقا كان لا من زيد ولا من

[1] ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، بيروت، دار الطليعة، ط2، 2005م، ص 189.

عمر، فأنت تقيد ذلك ابتداء وإذا قلت زيد زيد المنطلق كان كلامك من لم يعلم أن انطلاقا كان إما من زيد وإما من عمرو، فأنت تعلمه أنه كان من زيد لا من غيره"[1].

وعليه إن كل وجه من هذه الوجوه والأحوال تقال عندما يريد التكلم قصدًا معينا فهي أحوال تراعي "المقصد"، وكذلك الفائدة التي تكون عند توظيف كل وجه حسب قصد المتكلم والإفادة أيضا.

وتراعي جانب قصد المتكلم حال السامع، فقولنا:

زيد منطلق ← يكلم بها من لا يعلم الإنطلاق ولا ممن كان فيكون الخبر هنا ابتدائيا.

وقولنا: زيد المنطلق ← القصد منها حصر الانطلاق في زيد دون غيره أي التخصيص.

وقولنا: المنطلق زيد ← يعني أن المخاطب رأى انطلاقا فعلاً من شخص ولا يعلم من هو فنؤكد له إنه زيد.

نظرية النظم عند الجرجاني تقوم على أن المعنى لا يبنى على المفردات، بل على العلاقات بين المفردات، أي التراكيب والمعنى النفسي هو ما يرغب المتكلم في التعبير عنه، ثم يختار النظم المناسب. فالقصد هو الذي يوجه المتكلم لاختيار ترتيب معين دون آخر، وتقديم لفظ على آخر، حسب ما يناسب المعنى النفسي.

المطلب الثاني: أثر نية المتكلم في ترتيب الكلام

يقول عبد القاهر: "واعلم أن هذا كذلك ما دام النظم واحداً، فأما إذا تغير النظم فلابد حينئذ من أن يتغير المعنى على ما مضى من البيان في مسائل التقديم والتأخير وعلى ما رأيت في المسألة التي مضت الآن، أعني قولك: (إن زيدًا كالأسد، وكأن زيدًا الأسدُ)، ذلك لأنه لم يتغير من اللفظ شيء وإنما تغير النظم فقط"[2].

كما يرى الجرجاني، على إثبات المعنى وتجدده فالتركيب "زيد ينطلق" فيه إثبات لفعل الانطلاق المتجدد من طرف زيد، وبما أن "زيد" مقدم على الانطلاق، فهو محل الاهتمام هنا، فالمخاطب لا يهمه فعل الانطلاق بقدر ما يهمه ممن كان، وأما التركيب

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 141.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 274.

ينطلق زيد فقد كان البدء فيه بالفعل ؛ لأن اهتمام المخاطب منصب على فعل الانطلاق المتجدد ولا يهمه ممن كان، ومنه:

زيد مطلق ←——اهتمامه بالمنطلق (زيد) لا بالفعل.

ينطلق زيد ←——اهتمام بحدث الانطلاق المتجدد.

أما "منطلق زيد" فهو تركيب دال على حدث متجدد (الانطلاق) وهذا التجدد يتم مراعاتها حسب غرض المتكلم وقصده، ويلخصها الباحث "عبد الرحمان الحاج صالح" ما جاء في هذه الوجوه والفروق بقوله: "إن الذي يقصده الجرجاني هو تصرف المتكلم في الكلام، بحيث ينتقل من وجه إلى وجه ابتداء من أصل، وهو أقل هذه الوجوه لفظا ومعنى، أي ما ليس فيه زيادة اطلاقا (...) ويتصرف المتكلم انطلاقا من هذه النواة من الكلام"[1].

"أن نظم الحروف" هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب"، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد. وأما "نظم الكلم"، فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتضي في نظمها أثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس. فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو "النظم" الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق. ولذلك كان عندهم تضيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الاجزاء جزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح"[2].

وهذا ما يؤكد على ما جاء به الجرجاني بأن ترتيب الكلام يقتضي ترتيب المعاني في النفس.

ومن هناك يتضح لنا ما جاء به عبد القاهر بأن المعنى في نفس المتكلم لها علاقة بترتيب الكلام حيث إنه لو غيرنا في ترتيب الألفاظ تغير المعنى.

---

[1] عبد الرحمان الحاج صالح، البحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، دار موفم للنشر، 2007م، ج1، ص347.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 49.

و"اعلم أن ما ترى أنه لا بد منه من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة من حيث أن الألفاظ إذ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها"[1].

هو لا يستلزم حتما ألا يكون هناك فاصل بين ترتيب المعاني في الذهن وترتيب الألفاظ على حذوها ولو لم ننطق بها فنحن لا نفكر مرة في ترتيب المعاني ثم نستأنف فكرا آخر في ترتيب الألفاظ الدالة على تلك المعاني، وإنما هي عملية ذهنية واحدة تحكمها وتساعد عليها الملكة والخبرة وهذا ما يعنيه كلام الشيخ هنا[2].

يمكن القول إن نظرية النظم تقوم في أساسها على مبدأ القصد، وإن النية لا تؤثر فقط في اختيار المفردات، بل كذلك في ترتيبها، وفي توجيه المعنى في كل مستويات التعبير.

ومن خلال تتبع الشواهد من القرآن والبلاغة العربية، يتضح أن المعنى النفسي أو "المعنى القائم في النفس" كما يسميه الجرجاني، لا يدرك إلا بفهم نية المتكلم وسياق خطابه.

[1] عبد القهار الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 52.

[2] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الاعجاز، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، ط2، 2013م، ص 108، 109.

خلاصة الفصل:

يتضح أن الجرجاني لم يكن ينظر إلى الكلام على أنه مجرد بناء لغوي سطحي، وإنما كان يرى فيه انعكاسا حيا لحالة المتكلم النفسية، وتجليا دقيقا لنيته وقصده وموقفه الذهني والوجداني، وعليه "المعنى النفسي" يمثل المرحلة الأولى التي ينطلق منها التعبير اللغوي، حيث يرتب المتكلم معانيه في ذهنه قبل أن ينقلها إلى ألفاظ مرتبة بنحو يتناسب مع مراده وسياق حاله.

كما تبين أن البلاغة لا تكمن في اختيار الألفاظ بذاتها، وإنما في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، أي في كيفية النظم الذي يراعي السياق، والحالة الشعورية، والقصد، وقد أظهرت دراسته العميقة أن الكلمة الواحدة قد تختلف دلالتها البلاغية والنفسية باختلاف موقعها، وغرضها، وترتيبها ضمن التركيب الكلي للخطاب.

يعيد عبد القاهر بناء المفهوم البلاغي على أساس نفسي معرفي، يربط بين داخل النفس وبنية الخطاب الظاهر، وهو بذلك يقدم تصورا متقدما لدور المتكلم في خلق المعنى، يتجاوز الرؤية الشكلية إلى رؤية وظيفية تفاعلية.

وبناء على ذلك، يمكن القول إن المعاني النفسية عند الجرجاني تشكل ركيزة جوهرية لفهم الإعجاز البلاغي، وأن استحضارها يفتح آفاقا جديدة لتحليل النصوص، خاصة النص القرآني، الذي تتجلى فيه بوضوح العلاقة العميقة بين المعنى النفسي والنظم البلاغي المتقن.

الفصل الثاني:
الجوانب النفسية للغة المتكلم
في "دلائل الإعجاز"

التمهيد:

أولى الجرجاني في دلائل الإعجاز عناية خاصة بالعوامل النفسية التي تصاحب المتكلم وتنعكس على لغته، فجعل الشعور والانفعال من مؤثرات النظم، وربط بين حال المتكلم واختياره الأسلوبي. وقد جاءت إشاراته إلى هذه الجوانب متناثرة في سياق تحليله للبيان القرآني والشعري، مما يدلّ على وعيه العميق بتأثير البعد النفسي في إنتاج الخطاب وفهمه.

وقد اخترنا في هذا الفصل التركيز على الخطاب القرآني والخطاب الشعري، انسجامًا مع منهج الجرجاني نفسه، الذي جعل غايته الأولى إثبات الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فكان تحليله للخطاب القرآني محكًّا لتطبيق نظريته في النظم. كما اعتمد على المدونات الشعرية عدّةً وشاهدًا، لكونها أوفى ما يمثل بلاغة اللسان العربي، وأدقّ ما يعكس الانفعال النفسي في التعبير الإنساني.

وقد قُسّم هذا الفصل إلى مبحثين أساسيين، نتناول في الأول منهما تفسير الجرجاني للبعد النفسي في الخطاب القرآني، وفي المبحث الثاني نتطرق للتحليل النفسي للخطاب الشعري.

المبحث الأول: تفسير الجرجاني للبعد النفسي في الخطاب القرآني

ينظر الجرجاني إلى الخطاب القرآني بعين الرفعة والقداسة فيرى فيه النموذج الأسمى للفصاحة والبلاغة والبيان ، حتى اتخذه ميدانًا لتطبيق نظريته في النظم، وموضعًا لتحليل التناسب الدقيق بين المعاني والألفاظ ، هذه القضية التي لطالما شغلت الألباب والعقول أيما اشتغال . وفي هذا السياق تتبدى ملامح وعيه العميق بأثر الحالة النفسية في تشكيل الخطاب، حيث يربط بين وجدان المتكلم (أو ما يفرضه المقام التواصلي من حالة انفعالية) وبين السمات اللغوية والأسلوبية التي تنتظم في النص القرآني. وقد تجلّى هذا البعد النفسي في موضعين أساسيين: اختيار الألفاظ، وتوجيه الأساليب البلاغية.

المطلب الأول: أثر الشعور والانفعال في اختيار المفردة القرآنية

يؤكد الجرجاني أن للألفاظ في الخطاب دلالة تتجاوز معناها القاموسي، إذ تكتسب طابعًا خاصًا يعبّر عن الانفعال والشعور الذي يصحب المتكلم.

فهو يردد مرارا أن المتكلم ينظم العبارات في نفسه ويرتبها في ذهنه، ويشير إلى ان المقصود بالترتيب هو المعاني وليس الألفاظ. وليست هذه المعاني هي المعاني القاموسية أو الدلالية، وإنما هي المعاني النحوية، ومن ثمت نفهم تمييزه بين نظم الحروف ونظم الكلم، واهتمامه الكبير بالمتكلم في ترتيب المعاني النحوية نفسيا (أو ذهنيا) من أجل إدراك اللحظات الأولى في بناء الكلام، وإنكاره أن يكون الاهتمام بالسامع أساسا علميا لتفسير بنية اللغة النظمية.

هكذا قدم لنا عبد القاهر تصورا للتواصل البشري على أكمل وجه كما يوضحه الرسم الموالي:

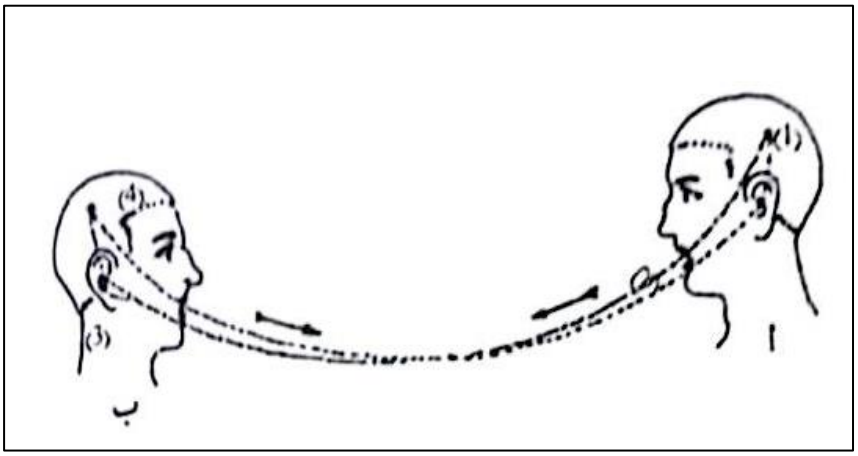

فالمتكلم يرتب المعاني النحوية في ذهنه (1) ثم يترجم هذه المعاني النفسية إلى الألفاظ الدالة عليها نطقا (2)، أما السامع فهو يتلقى الألفاظ في سمعه أولا (3)، ثم يفككها ويؤولها في ذهنه (4) [1].

نلاحظ حركة مزدوجة تبدأ من ترتيب المعاني في ذهن المتكلم، ثم انتقالها إلى الألفاظ منطوقة، فإلى ذهن السامع الذي يعيد تركيبها وفهمها.

فعملية إنتاج الخطاب لا تبدأ بالكلمات (البنية اللغوية) بل تنبع من ترتيب المعاني في ذهن المتكلم (البنية الداخلية): النفسية للخطاب. هذا الترتيب الذهني يسميه الجرجاني النظم والذي يعتمد على:

- اختيار المعاني المناسبة للسياق.
- ترتيب هذه المعاني في النفس وفق الأولويات والمقاصد.
- اختيار التراكيب اللغوية التي تجسد هذا الترتيب بدقة.

ويظهر ذلك جليًّا في اختيارات القرآن اللفظية التي تستجيب لطبيعة المقام وحالة السامع أو المتلقي. يقول الجرجاني بهذا الصدد : " الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة ، وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح باللفظ . ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر." [2].

فيرى أنه " ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف ، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا ، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة ، وبناء لفظة على لفظة . هل يتصور أن يكون بين اللفظتين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ماهي موسومة به "[3]

فهو يرى أن الكلمة لا تُنتقى لذاتها ولكن لتتواءم وجاراتها في السياق.

---

[1] عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص 126.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص46.

[3] المصدر نفسه، ص44.

ومن أوضح الأمثلة الدالة إلى ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾[1] نوضح ذلك في اللفظة:

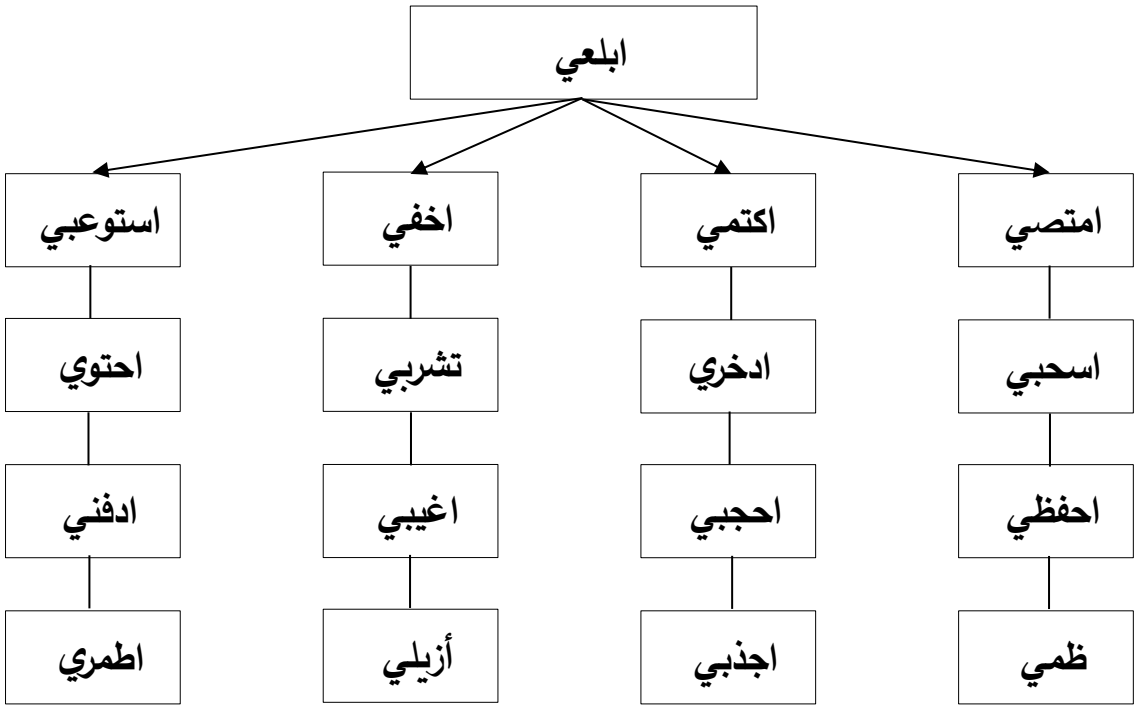

حيث يستهل كلامه بقوله وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى فسؤاله عن الشك هنا نابع من يقينه المتقد بالحمية إلى القرآن العظيم ، ويواصل كلامه بقوله "إن شككت . لينطلق في أسلوب الإقناع عنده، فتأمل: "هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت، لأدت من الفصاحة ما تؤده وهي في مكانها من الآية؟ قل: "ابلعي واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدئ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ثم في أن كان النداء بيا دون أي نحو يا أيتها الأرض ثم إضافة "الماء" إلى " الكاف"، دون أن يقال: "ابلعي الماء" ، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداءً السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل: و "وغِيضَ المَاءُ" ، فجاء الفعل على صيغة "فُعِلَ" الدالة على أنه لم يغض إلا بأمرٍ آمرٍ وقُدرة قادرٍ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: "وَقُضِيَ الأمر" ، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور، وهو: "اسْتَوَتْ عَلَى الجُودِي" ثم

[1] سورة هود، الآية 44.

إضمار "السفينة" قبل الذكر، كما هو شَرْطُ الفخامة والدلالة على عِظَم الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة "بقيل" في الفاتحة؟ أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتُحضيرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق؟ أم كُلَّ ذلك لما بين معانى الألفاظ من الاتساق العجيب؟"[1] وهنا نبلغ بيت القصيد لتتجلى النزعة النفسية في شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن الذي يتغلغل شغاف النفس إلى جانب روعة الإعجاز والهيبة التي تحيط بالنفس من أقطارها، والمتعلقة جميعها بحسن تخير اللفظ .

ويؤكد الجرجاني أيضا على أن حسن اختيارنا للفظ يسوق النفس لتهتدي إلى معنى دون غيره فيقول : وأعْلَم أنه إذا كان بيناً في الشيء أنه لا يحتمل إلا الوجه الذى هو عليه حتى لا يُشكل، وحتى لا يحتاج في العلم بأن ذلك حقه وأنه الصواب، إلى فكر وروية فلا مزيةً. وإنّما تكون المزيّة ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر، ثم رأيت النَّفْسَ تنبو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيتَ للذي جاء عليه حسناً وقبولاً تعْدَمُهما إذا أنت تركته إلى الثاني. [2]

ومثل لذلك بقوله تعالى:﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [3] فهو يرى أنه ليس بخاف أن لتقديم "الشركاء" حسناً وروعة ومأخذاً من القلوب، أنت لا تجد شيئاً منه إن أنت أخرَّتَ فقلت : "وجعلوا الجنَّ شركاء الله"، وأنك ترى حالك حالَ مَنْ نُقل عن الصورة المُبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر، إلى الشيء الغفل الذى لا تَحْلَى منه بكثير طائل، ولا تصير النفس به إلى حاصل.

والسبب في أن كان ذلك كذلك، هو أن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً لا سبيل إليه مع التأخير .[4]

مواطن النزعة النفسية في هذا المثال جلية وضوح نور الشمس فأنت تلمسها فيما لتقديم الشركاء من حسن وروعة ومأخذ من القلوب لا يكون في التأخير، وكذلك في نقل

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص45.

[2] المصدر نفسه، ص286.

[3] سورة الأنعام، الآية 100.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص286.

الحال من الصورة المبهجة والمنظر الرائق اللذين يتشكلان في ذهن السامع والحسن الباهر الذي يروق ذوقه.

ويحلل سر توضع ألفاظ الآية بالشكل الذي هي عليه حتى تفيد المعنى المقصود بقوله : " بيانه، أنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجنَّ شركاء وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يَحْصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم "الشركاء" يفيد هذا المعنى، ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون الله شريك، لا من الجن ولا غير الجن.

وإذا أخر فقيل: "جعلوا الجنَّ شركاء الله"، لم يُفد ذلك، ولم يكن فيه شيء أكثر من الإخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى، فأما إنكار أَنْ يُعْبَد مع الله غيره، وأن يكون له شريك من الجن وغير الجن، فلا يكون في اللفظ مع تأخير "الشركاء" دليل عليه، وذلك أن التقدير يكون مع التقديم: أن "شركاء" مفعول أول لجعل، و"الله" في موضع المفعول الثاني، ويكون "الجن "على كلام ثان، وعلى تقدير أنه كأنه قيل: "فَمَنْ جَعَلُوا شركاء الله تعالى؟"، فقيل: "الجن". وإذا كان التقدير في "شركاء" أنه مفعول أوَّلُ، و"الله" في موضع المفعول الثاني، وقع الإنكار على كون شركاء الله تعالى على الإطلاق، من غير اختصاص شيء دون شيء. وحَصَل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجنّ، لأن الصفة إذا ذكرت مجردة غير مُجْراةٍ على شيء، كان الذى تعلَّق بها من النفي عاما في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة." [1].

ثم يواصل كلامه مبررا تأثر المعنى في النفس بحسن تخير الألفاظ فيقول:" فأنظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قدم "الشركاء"، واعتبره فإنه ينبهك لكثير من الأمور، ويدلك على عِظَم شأن "النظم"، وتعلم به كيف يكون الإيجاز به وما صورته؟ وكيف يُزاد في المعنى من غير أن يُزَادَ في اللفظ، إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى، ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك، واحتجت إلى أن تستأنف له كلاماً، نحو أن تقول: "وجعلوا الجنَّ شركاء الله، وما ينبغي أن يكون

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص286، 287.

الله شريك لا من الجن ولا من غيرهم"، ثم لا يكون له إذا عُقِل من كلامين من الشرف والفخامة ومن كرم الموقع في النفس، ما تجده له الآن وقد عُقِل من هذا الكلام الواحد." [1]

إذا فالأثر النفسي المقصود من وراء الآية قذفه في نفس المتلقي لا يتشكل إلا من خلال هذه الصياغة الفريدة ، ويستحيل تشكله . المعنى النفسي . من صياغة غيرها على الإطلاق.

ونمثل كذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[2] ، هذا الشاهد الذي استشهد به لدقة الصنع . حيث ينكر الجرجاني نسبة مزية حسن النظم وجودة السبك إلى الاستعارة فيقول: "ولا هذا الشرف العظيم ولا هذه المزية الجليلة وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة " بل نسب أولئك لأن سلك بالكلام طريق ما يُسنَد الفِعْل فيه إلى الشيء، وهو لما هو من سببه، فيُرفع به ما يُسند إليه، ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى منصوباً بعده، مبيناً أن ذلك الإسناد وتلك النسبة إلى ذلك الأول، إنَّما كانا من أجل هذا الثاني، ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة، كقولهم" :طاب زيد نَفْساً "و قر عمرو عَيْنا "، و"تصبب عرقاً "، و "كرم أصلاً "، و"حَسُنَ وجهاً".[3] وأوعز سبب روعة التعبير في " أنه يفيد، مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى، الشمول، وأنه قد شاع فيه، وأخذه من نواحيه، وأنه قد استَغْرَقَهُ وعم جملته، حتى لم يبق من السواد شيء، أو لم يبق منه إلا ما لا يُعتد به.

وهذا ما لا يكون إذا قيل: "اشتعل شيب الرأس، أو الشيب في الرأس"، بل لا يوجب اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيه على الجملة. ووزان هذا أنك تقول: "اشتعل البَيْتُ ناراً"، فيكون المعنى: أن النار قد وقعت فيه وُقُوع الشمول، وأنها قد استولت عليه وأخذت في طَرَفَيْه ووَسَطه وتقول: "اشتعلت النار في البيت"، فلا يفيد ذلك، بل لا يقتضى أكثر من وقوعها فيه، وإصابتها جانباً منه. فأما الشمول، وأن تكون قد استولت على البيت وابتزته، فلا يُعْقَلُ من اللفظ البتة. [4]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 287.

[2] سورة مريم، الآية 04.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص101.

[4] المصدر نفسه، ص101.

فبلاغة الأثر النفسي في المثال تعود إلى دقة اختيار اللفظة من بين مجموعة من المفردات الأخرى على مستوى المحور الاستبدالي ، كما هو موضح في فيما يلي[1]:

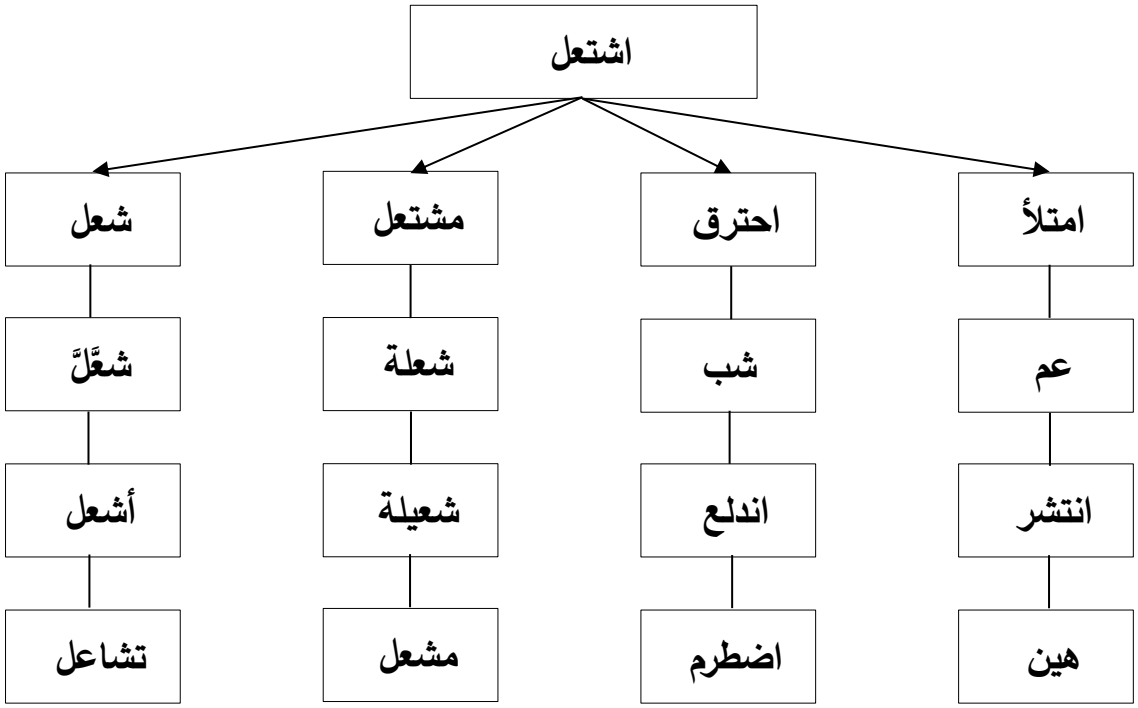

كما تم اختيار ترتيبه على المستوى التركيبي، من بين خيارات ممكنة، كأن نقول:

أ . اشتعل الشيب في الرأس

ب . الرأس اشتعل بالشيب

ج . الشيب في الرأس اشتعل[2].

فيبلغ الكلام بذلك أرقى درجات الفصاحة والبيان .

وعموما فإن الفروق في الألفاظ تتعلق باللفظة عندما توضع بين أخواتها في السياق ، وأن الفضيلة وخلافها في ملاءمة اللفظة لمعنى التي تليها . [3]

[1] عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص 146.

[2] المرجع نفسه، ص146.

[3] المرجع نفسه، 145.

المطلب الثاني: أثر الحالة النفسية في الأساليب البلاغية القرآنية.

يتسع وعي الجرجاني بالبعد النفسي ليشمل الأساليب البلاغية المستعملة في القرآن، من تقديم وتأخير، وحذف، وتكرار، وغيره من وسائل التعبير التي لا تُفهم على مستواها الشكلي فقط، بل تُفسّر في ضوء ما تقتضيه الحال النفسية للمقام.

من الأمثلة اللطيفة التي تناولها الجرجاني في جودة سبك الخطاب القرآني ما ورد في باب الفصل والوصل من قصة سيدنا إبراهيم مع ضيوفه المكرمين وما دار بينهم من مواقف وأقاويل، هذه القصة التي وضحت جليا اعتبار القرآن لذهن المتلقي وما يخطر بفكره وفؤاده إثر آية فيجيبه في عاقبتها .

فيقول بعد قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡ﴾ [1] جاء على ما يقع في أنفُس المخلوقين من السؤال. فلما كان في العُرْف والعادة فيما بين المخلوقين إذا قيل لهم: "دخل قوم على فلان فقالوا كذا"، أن يقولوا: "فما قال هو؟"، ويقول المجيب: "قال كذا"، أُخْرِجَ الكَلامُ ذلك المُخْرَج، لأنّ الناس خُوطبوا بما يتعارفونه، وسُلِكَ باللفظ معهم المسلك الذي يسلكونه.

وكذلك قوله: "قَالَ أَلا تَأْكُلُون"، وذلك أن قوله: "فَجَاءَ بِعِجل سَمِين. فَقَرَّبَهُ إِليهِمْ"، يقتضي أن يُتبع هذا الفعل بقول، فكأنه قيل والله أعلم: "فما قال حين وضع الطعام بين أيديهم؟"، فأتى قوله: "قَالَ ألاَ تَأْكُلُون" جواباً عن ذلك.

وكذا "قَالُوا لاَ تَخَفْ"، لأن قوله: "فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً"، يقتضي أن يكون من الملائكة كلام في تأنيسه وتسكينه مما خَامَرَه، فكأنه قيل: "فما قالوا حين رأوه وقَدْ تغيّر ودَخَلته الخيفة ؟" فقيل: "قالوا لا تخف." وذلك، والله أعلم، المَعْنى في جميع ما يجيء منه على كثرته. [2]

[1] سورة الذاريات، الآية 24-28.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص240.

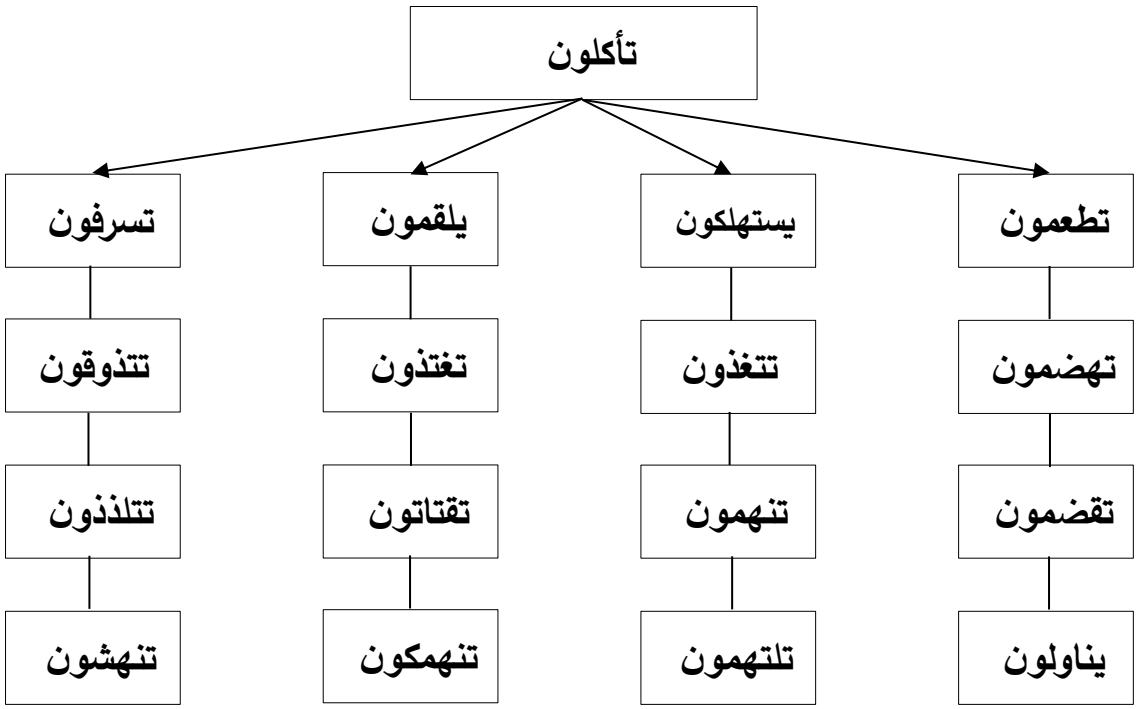

فالخطاب القرآني حسب رؤيته خاطب الناس وفق سلوكهم الفكري وما يحل بخواطرهم.

وفي موضع آخر يرى عبد القاهر ضرورة التنبيه قبل الإعلام فيقول :" ليس إعلامك الشيء بغتة غُفْلاً مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ، إن الشيء إذا أضمر ثم فسر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدمة إضمار. ويدل على صحة ماقالوه أنَّا نعلم ضرورةً في قوله تعالى :﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [1]، فخامة وشرفا وروعة لا نجد منها في قولنا : فإن الابصار لا تعمى ". [2]

فالإعلام بغتة ليس كالإعلام بعد التنبيه، ولا الخبر يقع من النفس موقعًا إذا ورد عليها دفعة، كوقوعه إذا مهّد له، ومهّدت النفس لتلقيه .

---

[1] سورة الحج، الآية 46.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص132.

3 سورة القمر الآية 12 .

ومن لطائف تفسير الجرجاني لآي التنزيل الحكيم أيضا ماجاء به في شأن قول الله تعالى : { وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا } [3] تحت عنوان النظم يتحد في الوضع ويدق في الصنع .

فيقول : " التفجير للعيون في المعنى ، وأُوقِع على الأرض في اللفظ ، كما أُسْنِدَ هناك الاشتعال إلى الرأس . وقد حصل بذلك من معنى الشمول ههنا ، مثل الذي حصل هناك . وذلك أنه قد أفاد أن الأرض قد كانت صارت عيونا كلها ، وأن الماء قد كان يفور من كل مكان منها . ولو أجري اللفظ على ظاهره فقيل : " وفجرنا عيون الأرض ، أو العيون في الأرض " ، لم يُفِدْ ذلك ولم يَدُلَّ عليه ، ولكان المفهوم منه أن الماء قد كان فار من عيون متفرقة في الأرض ، وتبجَّس من أماكن منها " [1]. فدقة النسيج اللغوي هنا تحكم اختيار معنى دقيقا دون غيره من المعاني في نفس المتكلم . والجرجاني في المقام عينه يورد أمثلة أخرى وأدلة يستحكم بها هذا الباب في نفس المتلقي وتأنس به .

وخلاصة القول إن التحليل الجرجاني للخطاب القرآني يرتكز على رسم المشهد الذي تصوغه الآية في ذهن المتلقي كأنه حي ماثل بين يديه ، فيكون أبلغ وقعا في النفس.

1 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص102 .

المبحث الثاني: تفسير الجرجاني للبعد النفسي في الخطاب الشعري

يُعدّ الشعر، في نظر الجرجاني، أحد أبرز مظاهر البيان العربي، وأصدق الوسائل التي تعكس طبيعة النفس الإنسانية في انفعالها وتعبيرها. وقد جعل منه شاهدًا رئيسًا في دلائل الإعجاز، لا لبلاغته المجردة فقط، بل لما يمثله من تجلٍّ واضح للعلاقة بين وجدان المتكلم وأسلوبه. فالشاعر عنده لا يعبّر عن المعنى فحسب، بل يسكب في عبارته أثر الشعور والحالة النفسية التي تعتريه، وهو ما يجعل الشعر مادة خصبة لفهم كيف تتجلى النفس في اللغة.

المطلب الأول: أثر الشعور والانفعال في اختيار الألفاظ الشعرية

يرى الجرجاني أن اختيار الألفاظ في الشعر لا يتم على أساس عقلاني بارد، بل يُحكَم فيه بالشعور، ويخضع لانفعال الشاعر ومقامه الوجداني. لذلك كان يميّز بين لفظين يؤديان المعنى ذاته، لكن أحدهما أليق بالحال النفسية وأوقع في النفس، وهو ما يصفه بقوله:

"فربّ كلمة تراها لا تُغني عن أختها في المعنى، ولكنها أتمّ منها في إفادة النفس، وأشدُّ تعلقًا بالشعور، وألصق بالوجد." [1]

ومن أمثلته على ذلك ما أورده في باب إظهار المفعول أحسن من حذفه حيث يستشهد الجرجاني بقول الشاعر:

وَلَوْ شِئْتُ أنْ أَبْكِيَ دَمًا لَبَكَيْتُهُ *** عَلَيْهِ وَلَكِنَّ سَاحَةَ الصَّبْرِ أَوْسَعُ[2]

يريد الشاعر في البيت أنه قد بلغ حزنه وبكاؤه على المرثي ما بلغ حتى جفت دموعه فلو شاء أن يبكي بعد ذلك لبكى دما ولكنه يلوذ بالصبر الذي يملك منه بمقدار ما

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص63.

[2] البيت للخزيمي يرثي عثمان بن عامر بن خزيم، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص164.

يملك من الثبات والعزيمة، فالشطر الثاني صورة مجازية للصبر الجميل، ووراءَه كناية عن الثبات والإرادة. [1]

يعلق الجرجاني على قول الشاعر لو شئت بكيت دما بكونه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا ، يقصد أن ذكر المفعول أحسن في هذا المعنى على وجه مخصوص . وسبب حسنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الانسان أن يبكي دما فلما كان كذلك كان أولى أن يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع ويأنسه به[2] فحسن اختيار الشاعر للألفاظ جعل الكلام أبلغ أثرا في وجدان المتكلم .

وفي موضع آخر استشهد الإمام بأبيات على أن الكلم لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة ، فقد نرى الكلمة حسنة في موضع ومستكرهة في آخر[3]، قال : " ومن أعجب ذلك لفظة الشيء فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع ، وضعيفة مستكرهة في موضع آخر، وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

وَمِنْ مَالِىءٍ عَينَيهِ مِنْ شَيءٍ غَيرِهِ * * * إِذَا رَاحَ نَحْوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كَالدُّمىَ

وقول أبي حية :

إِذَا مَا تَقَاضَى المَرْءُ يَوْمٌ وَ لَيْلَـةٌ * * * تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لاَ يَمَلُّ التَّقَاضِيَـا

فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول ، ثم انظر إليها في بيت المتنبي:

لَوِ الفَلَكُ الدَوَّارُ أَبْغَضْتَ سَعْيَـهُ * * * لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الـــدَّوَرَانِ

فإنك تراها وتقل وتضؤل بحسب نبلها وحسنها فيما تتقدم ." [4]

هذا باب واسع كما قال الجرجاني، فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلما بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرع السماك[5]، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة إذا حسنت حسنت من حيث هي لفظ، إذا استحقت المزيَّةَ والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إمَّا أَنْ تَحْسُن أبداً، أو لا تَحْسُن أبداً.

---

[1] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الاعجاز، ص 244.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص164.

[3] نجاح أحمد عبد الكريم الظاهر، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني، ص111.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص47، 48.

[5] السماك نجم وهما سماكان : الرامح والأعزل. وفرع السماك؛ علاه وجاوزه في الارتفاع.

ولم تر قولاً يضطرب على قائله حتى لا يَدْري كيف يُعبر، وكيف يورد ويُصدر، كهذا القول. بل إن أردت الحقَّ، فإنه من جنس الشيء يُجرى به الرجل لسانه ويُطلقه، فإذا فتش نفسه، وجدها تعلم بطلانه، وتنطوى على خلافه، ذاك لأنه مما لا يقومُ بالحقيقة فى اعتقاد، ولا يكون له صورة في فؤاد.[1]

فالجرجاني يرى أن سر التماسك في القول مرتبط بصدق الاعتقاد به فإذا لم يكن في النفس إيمان بما يقال، فإن الاضطراب سيظهر في التعبير مترجما حيرة المتكلم وتناقضه .

المطلب الثاني: أثر الحالة النفسية في الأساليب البلاغية الشعرية

مثلما رأى في الأساليب البلاغية القرآنية تجليات لحالة المتكلم النفسية، نظر الجرجاني إلى الأسلوب الشعري باعتباره أداةً لصياغة الانفعال في صور محسوسة. فالتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والمجاز، والاستعارة، كلّها لا تُستعمل عفويًا، بل تكون استجابة لحالة وجدانية مخصوصة.

وهذا مثال في البيت القائل:

"قِفا نَبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنزِلِ"

وهو مطلع معلقة امرئ القيس، الذي أراد عبد القاهر الجرجاني أن يمثل به لكون أن بلاغة الكلام ليست في المفردات وحدها، بل في طريقة ترتيبها وعلاقاتها بعضها ببعض.

فيقول " إن أردت أن ترى ذلك عيانا ، فاعمد إلى أي كلام شئت ، وأزل أجزاءه عن مواضعها وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها "[2] ثم يستفتح تحليله ببعثرة البيت على نحو" من نبك قفا حبيب ذكرى منزل " ويعقب بقوله : "ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها؟

واعلم أنى لستُ أقول إن الفكر لا يتعلق بمعاني الكَلِم الْمُفْردة أصلاً، ولكني أقول إنه لا يتعلق بها مُجَرَّدةً من معاني النحو، ومنطوقاً بها على وجه لا يتأتى معه تقدير معاني النحو وتوخّيها فيها، كالذي أريتك، وإلا فإنك إذا فكرت في الفعلين أو الاسمين،

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 48.

[2] محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الاعجاز، ص 490.

تريد أن تخبر بأحدهما عن الشيء أيهما أولى أن تخبر به عنه وأشبه بغرضك، مثل أن تنظر: أيهما أمدح وأذَمُّ، أو فكرت في الشيئين تريد أن تُشبه الشيء بأحدهما أيهما أشبَهُ به كنت قد فكرت في معاني أنفس الكلم، إلا أن فكرك ذلك لم يكن إلا من بعد أن تَوَخّيت فيها معنى من معاني النحو، وهو أنْ أردتَ جَعْلَ الاسم الذي فكرت فيه خبراً عن شيء أردت فيه مدحاً أو ذَما أو تشبيهاً، أو غير ذلك من الأغراض ولم تجيء إلى فعل أو اسم ففكرت فيه فرداً، ومن غير أن كان لك قصد أن تجعله خبراً أو غير خبر. فاعرف ذلك[1].

ويضرب مثالا آخر ببيت لبشار بن برد القائل :

كَأنَّ مُثَارَ النقْع فَوْقَ رُؤُسِنَا * * * وأسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُه

فيحلله قائلا : وأنظر هل يُتَصَوَّر أن يكون بشارً قد أخْطَر معاني هذه الكلم بباله أفراداً عاريةً من معانى النحو التي تراها فيها وأن يكون قد وقع " كأنَّ " في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التَّشبيه منه على شيء وأن يكون فكر في " مُثَار النقع "، من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني وفكر في "فوق رؤوسنا"، من غير أن يكون قَدْ أراد أن يُضيف "فوق" إلى "الرؤوس" وفي "الأسياف" من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على "مثار" وفي "الواو" من دون أن يكون أراد العطف بها وأن يكون كذلك فكر في "الليل"، من دون أن يكون أراد أن يجعله خبراً "لكأنَّ" وفي "تهاوى كواكبه"، من دون أن يكون أرادَ أَنْ يَجْعل "تَهاوَى" فعلا للكواكب، ثم يجعل الجملة صفة لليل، ليتم الذى أراد من التشبيه؟ أم لم يُخْطِر هذه الأشياء بباله إلا مرادًا فيها هذه الأحكام والمعاني التي تراها فيها؟[2]

يلامس الجرجاني الفكر والقصدية في تحليله ليبين أن البلاغة لا تكون في الألفاظ وحدها، بل في طريقة نظمها، وتآلفها مع المعنى الذي تريد أن توصله. فكل كلمة وُضعت في مكانها بدقة، لتخدم المعنى الكلي اِثر تفاعلها مع جاراتها، وتُصوغ بذلك شغاف النفس الوجدان في المشهد كما أراد الشاعر.

من الأساليب الأخاذة في اللغة :الاستعارة والتشبيه ، ويوعز الجرجاني مدى حسنها و روعتها إلى درجة إرادة إخفاء التشبيه فيها فيقول :" واعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت إرادتك التشبيه إخفاءً، ازدادت الاستعارة حسنا ، حتى إنك تراها أغرب ما تكون

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص410، 411.

[2] المصدر نفسه، ص411، 412.

إذا كان الكلام قد ألف تأليفا إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه ، خرجت إلى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع "[1].

ومثاله في قول الشاعر:

فَأَسْبَلَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ، وَسَقَتْ * * * وَرْدًا ، وعضَّتْ عَلَى العُنَّبِ بِالبَرَدِ[2]

يحلله الجرجاني بقوله :" فرأيته قد أفادك أن "الدَّمع" كان لا يَخْرِمُ من شبه اللؤلؤ، و"العين" من شبه النرجس شيئاً، فلا تَحْسَبَنَّ أن سببَ الحُسْن الذي تراه فيه، والأريحية التي تجدها عنده، أنه أفادَك ذلك فحَسْبُ. وذاك أنك تَسْتَطِيعُ أن تجيء به صريحاً فتقول: "فأسبلت دمعاً كأنه اللؤلؤ بعينه، من عين كأنها النرجس حقيقةً"، ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئاً. ولكن اعلم أنّ سبب أن راقك، وأدخل الأرْيَحيَّة عليك، أنه أفادك في إثبات شدَّة الشبه مزية، وأوجدك فيه خاصةً قد عُرِزَ في طبع الانسان أن يرتاح لها، ويجد في نفسه هزةً عندها [3] فشدة الشبه إذا هي العامل في الإثارة النفسية.

إن الجرجاني، في تحليله للشعر، لا يفصل الأسلوب عن النفس، بل يرى في كل صورة بلاغية أثرًا من آثار الشعور، مما يجعل الشعر عنده فنًّا نفسانيًّا بامتياز، تُصاغ فيه الألفاظ والعبارات لا لمجرد الأداء، بل لتكون امتدادًا للحال الوجدانية للمتكلم.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص450.

[2] قائله الوأواء الدمشقي.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص449، 450.

خلاصة الفصل:

لقد تبيّن من خلال هذا الفصل أن الجرجاني لم يكن معنيًّا بالتحليل اللغوي الشكلي فحسب، بل كان مدفوعًا بوعي عميق بأثر النفس في تشكيل الخطاب، وبأن البيان لا يُفهم إلا من خلال إدراك علاقة المتكلم بمقامه الشعوري والانفعالي. وقد تجلى هذا الوعي النفسي بوضوح في تفسيره للخطابين القرآني والشعري، اللذان شكّلا محور التحليل البلاغي في دلائل الإعجاز.

ففي الخطاب القرآني، كشف الجرجاني عن دقة الاختيار اللفظي وتوجيه الأساليب البلاغية بوصفها تعبيرًا عن مقتضيات الحال النفسية، لا عن قواعد جامدة. وكانت نظرته للقرآن قائمة على أن الإعجاز البياني لا ينفصل عن مطابقة الكلام لأحوال النفس البشرية، في قوتها وضعفها، وخوفها ورجائها. وذاك مايفسر خشوع القلوب الحية وتأثر الأنفس السليمة أثناء تلاوته وتدبره .

أما في الخطاب الشعري، فقد بيّن كيف تتجلّى الانفعالات في الألفاظ والتراكيب، وأن الشاعر لا ينظم شعره إلا وقد انطبع شعوره في نسيجه، فكان الشعر عند الجرجاني أصدق مرآة لوجدان المتكلم، وأخصب ميدان لتمثّل الفصاحة التي تنبع من النفس وتُصاغ في اللغة.

وهكذا يُثبت هذا الفصل أن الجرجاني كان من أوائل من تنبّهوا إلى البعد النفسي في التعبير، وأن نظريته في النظم ما كانت لتكتمل لولا إقراره بأن البلاغة الحقّة هي التي تُصوّر المعنى في النفس قبل أن تُنطق به في اللسان.

خـــــاتمة

الخاتمة:

يُعدّ كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني نموذجًا فريدًا في تاريخ البلاغة العربية، حيث لم يقتصر فيه على تقعيد نظرية النظم بوصفها نظامًا للتأليف بين المعاني والألفاظ، بل تجاوزه إلى مستوى أعمق، كشف فيه عن صلة وثيقة بين الخطاب ومصدره النفسي. وقد سعى هذا البحث إلى تتبّع هذه الصلة وتحليلها، من خلال الوقوف على الدلالات النفسية التي تنعكس في لغة المتكلم كما قدّمها الجرجاني، سواء في الخطاب القرآني أم في الخطاب الشعري.

وبعد البحث والتمحيص نستخلص أن:

– الجرجاني لم يتناول البلاغة بوصفها صنعة لغوية معزولة، بل بوصفها أداة تعبير تتأثر بالحالة النفسية للمتكلم، وتتشكل تبعًا لمقتضيات المقام والشعور. وتجلّى هذا الفهم العميق في تفسيره للقرآن الكريم، حيث نظر إليه على أنه أرقى نماذج البيان، وجعل إثبات إعجازه البياني غاية لنظريته، معتمدًا في تحليله على ما تقتضيه المقامات النفسية في الخطاب. كما استعان بالشعر العربي، لا لمجرد الاستشهاد، بل لكونه أوضح شاهد على أثر النفس في التعبير، وأكثر النصوص التصاقًا بوجدان المتكلم.

– ربط ـ الجرجاني ـ بين البنية الأسلوبية للخطاب وبين الشعور الكامن وراءها، فجعل من التقديم والتأخير، والحذف، والمجاز، والتكرار، ... وسائل فنية تعبّر عن حالات وجدانية متنوّعة، لا مجرد ظواهر لغوية تزدان بها العبارة. ومن هنا، فإن نظريته في النظم تؤسس لفهم الخطاب بوصفه فعلًا نفسيًّا تعبيريًّا، لا مجرّد تركيب لغوي.

– بين عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز أن الألفاظ لا تختار بمعزل عن النفس، بل تنبثق من انفعالات المتكلم وحالته الشعورية، ما يجعل المعنى النفسي جزءا من بلاغة التعبير.

– أكد أن نظم الكلام يتأثر بالعاطفة، فالكلمة تقدم أو تؤخر، تفخم أو تلطف، تبعا لما يشعر به المتكلم من فرح، خوف، توسل، دهشة، تهديد أو رجاء.

– أظهر الجرجاني أن الألفاظ تكسب دلالتها النفسية من السياق، لا من معناها المعجمي المجرد، وهو ما يميز البلاغة الحقيقية عن مجرد الفصاحة.

– يتضح من تحليل الجرجاني أن البلاغة هي تصوير للحالة النفسية لا مجرد تزويق لغوي؛ فالكلمة هي مرآة القلب، والأسلوب هو صوت النفس.

– في تحليله للشعر، أظهر كيف أن اللفظة الشعرية لا تكتسب قوتها من جمالها الشكلي، بل من صدق الشعور الذي دفع الشاعر إلى استخدامها.

– بين أن الأسلوب الشعري البلاغي يتشكل تحت تأثير المشاعر النفسية، مثل الغضب أو الشوق أو التوسل، مما يخلق تطابقا بين الشكل اللغوي والحالة النفسية.

– تبرز قراءته للخطاب، سواء في القرآن أو الشعر، رؤية النفسية للخطاب، سواء في القرآن أو الشعر، ورؤية بلاغية عميقة تربط بين اللغة والتجربة الإنسانية، في سبق واضح للمنهج الأسلوبي والنفسي الحديث.

ومن ثم تبرز أهمية إعادة قراءة دلائل الإعجاز في ضوء المعاني النفسية، إذ يُظهر ذلك مدى نضج الرؤية البلاغية لدى الجرجاني، ويفتح أفقًا جديدًا في دراسة التراث، يكشف أن البلاغة عنده كانت علماً متكاملاً يجمع بين اللغة والنفس، بين البيان والتأثير، ويؤسس لما يُعرف اليوم بتحليل الخطاب من منظور نفسي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم، مصحف المدينة الإلكتروني ، برواية حفص عن عاصم .

أولا: المصادر:

1. أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوري، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998.

2. الخليل أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي دار الهلال، د. ط، د. ت، ج8.

3. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط1، قراءة وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1412 هـ / 1991 م.

4. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية ص5، بيروت، 2015م.

5. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، اعتنى به علي محمد زينو، بيروت، مؤسسة الرسالة، ناشرون، ط1، 2005م.

6. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ط1، 1991م.

7. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، ط1، تحقيق وشرح: حسن السندوبي، قدّم له ونقّحه وأعدّ فهارسه: مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم، 1414هـ / 1993م، ج2.

8. علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، طبعة جديدة، 1985.

9. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم عرقسومي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1998م.

10. مجدي وهبه، كمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، 1984م، ط 2، باب النون.

11. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.

12. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، 1119، كورنيش النيل، القاهرة، م ع.

ثانيا: المراجع:

1. ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1972م.

2. أحمد أحمد بدوي عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، دار مصر القاهرة،(د.ت).

3. أحمد مطلوب، عبد القاهر الجرجاني بلغته ونقده، وكالة المطبوعات، بيروت، ط1، 1393هـ - 1973م.

4. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ط3، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.

5. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، عالم الكتب، ط5، 2000م.

6. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، القاهرة، عالم الكتب، 2006م، ط1، ج2.

7. الحافظ الذهبي: سير أعلام النبلاء. تحقيق: حسان عبد المنان، بين الأفكار الدولية، لبنان، 2004م،ج1.

8. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.

9. صالح بلعيد: التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر،ط5، 1994.

10. عبد الحي العماء الحنبلي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب ،ط2، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر 1980،ج3.

11. عبد الرحمان الحاج صالح، البحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، دار موفم للنشر، 2007م، ج1.

12. عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين: عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م.

13. عبد العزيز الميمني: الطرائق الأدبية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937.

14. عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ، العربية السعودية، ب.ط. ب.ت.

15. عبد الكريم العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1981م.

16. عبد الله عبد الرحمن أحمد بن النقيب، البلاغة والأثر النفسي: دراسة في تراث عبد القاهر الجرجاني.

17. عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1421هـ / 2000م.

18. علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ط4، حققها وعلق عليها: حمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ.

19. محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الاعجاز، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، المنصورة، ط2، 2013م.

20. محمد حفيف فقيهي : نظرية اعجاز القرآن عند عبد القاهر الجرجاني، بيروت ،منشورات المكتبة العصرية.

21. محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام: ثلاث رسائل في إعجاز القرأن للوماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي دار المعارف بمصر ،ط3(د.ت).

22. محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1366هـ / 1947م.

23. محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركمان (1850– 1905م) فقيه ،مفسر، متكلم ،حكيم، لغوي، صحافي، سياسي(عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز).

24. محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية، علم المعاني، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، 1990م.

25. محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، القاهرة، مطبعة المدني، (د ت).

26. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، بيروت، دار الطليعة، ط2، 2005م.
27. مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس، بيروت، لبنان (د.ت).
28. ابن ناشب المازني وتمامه، ونكب عن ذكر العواقب جانبًا، أحمد بن محمد بن المسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ط1، تحقيق أحمد أمين عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، 1411 هـ / 1991 م، ج1.
29. نجاح أحمد عبد الكريم الظاهر، الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني.
30. وليد محمد مراد نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، دمشق،ط1، 1403هـ\1983م.
31. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977 م، مج2.

ثالثا: المجلات:

1. عبد الرحيم البار،" علم المعاني عند عبد القاهر الجرجاني في كتابة دلائل الإعجاز" قراءة في المرجع النحوي والتوجه البلاغي مع مقاربة لسانية الحديثة. مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ع: 11، ماي 2017.
2. محسن سميح الخالدي ، الصرفة ، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية) ، كلية الشريعة ،جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، مج : 12 ، ع: 2 ، يونيو2004 ، ص 305 ـ 342 .
3. ناريمان عبد القادر يوسف، قراءة في منهجية عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز، مجلة رؤى فكرية، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة سوق أهراس، ع8، أوت 2018.

رابعا: رسائل جامعية:

1. عبد الله عبد الرحمن أحمد با نقيب: البلاغة والأثر النفسي – دراسة في التراث عبد القاهر الجرجاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة والنقد الأدبي، إشراف:

صالح سعيد الزهراني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، كلية اللغة العربية – فرع البلاغة والنقد الأدبي، 1422هـ / 2002م.

2. نجاح أحمد عبد الكريم الظهار: الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية، إشراف علي محمد حسن العماري، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1407هـ / 1408هـ، 1987م / 1988م.

3. هند جميل صالح نايته: مصادر الإمام عبد القاهر في بلاغته، بحث مقدم لنيل درجه الماجستير في علوم البلاغة، إشراف علي حسن العماري جامعه أم القرى: كلية اللغة العربية، 1407هـ.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الشكر والعرفان.....

مقـــــدمة:.....أ

مدخـــــل: صاحب المدونة ومرجعية البحث

توطئة:..... 8

حياة الجرجاني ونشأته: 9

وصف كتاب الدلائل: 13

التحليل النفسي للنصوص البلاغية قبل الجرجاني:.....19

خلاصة:.....25

الفصل الأول: المعاني النفسية في "دلائل الإعجاز"

تمهيد: 27

المبحث الأول: مفهوم المعاني النفسية عند الجرجاني.....28

المطلب الأول: تعريف المعاني النفسية.....28

المطلب الثاني: الفرق بين المعاني النفسية والمعاني اللغوية. 31

المبحث الثاني: دور النية والقصد في تشكيل المعنى.....34

المطلب الأول: نظرية النظم وعلاقتها بالقصد.....34

المطلب الثاني: أثر نية المتكلم في ترتيب الكلام.....40

خلاصة الفصل: 43

الفصل الثاني: الجوانب النفسية للغة المتكلم في "دلائل الإعجاز"

التمهيد:.....45

المبحث الأول: تفسير الجرجاني للبعد النفسي في الخطاب القرآني 46

المطلب الأول: أثر الشعور والانفعال في اختيار المفردة القرآنية.....46

المطلب الثاني: أثر الحالة النفسية في الأساليب البلاغية القرآنية. 53
المبحث الثاني: تفسير الجرجاني للبعد النفسي في الخطاب الشعري 56
المطلب الأول: أثر الشعور والانفعال في اختيار الألفاظ الشعرية.....56
المطلب الثاني: أثر الحالة النفسية في الأساليب البلاغية الشعرية.....58
خلاصة الفصل: 61
الخاتمة:.....63
قائمة المصادر والمراجع:.....66
فهرس المحتويات:.....72
الملخص: .....

الملخص:

تخصصت دراستنا حول مصنف دلائل الإعجاز لإمام اللغويين والبلاغيين عبد القاهر الجرجاني في كتابه ليست لإثبات نظرية النظم وإنما لبيان جانب مهم منها هو المعاني النفسية ودورها في تأليف وترتيب الكلام العربي عموما ونظم النص القرآني خصوصا فكان موضوعنا موسوما بالمعاني النفسية للمتكلم في دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وقد قسمناه إلى مدخل نظري خاص بمفاهيم مصطلحات البحث ومدونته وصاحبها وفصلين تطبيقيين عرضنا فيهما بالأقوال والتمثيل أي النماذج توجه الوجدان النفسي بتحليل نظم الكلام سبقتهما مقدمة وتلتهما خاتمة واعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي في رصد ذلك عند سابقيه وتتبعها وصفا في كتابه دلائل الإعجاز وتوصلنا إلى أن الجرجاني أسس لفكرة النظم على الانتقاء اللفظي والمعنى النحوي بصبغة نفسية إصدارا وتقبلا.

ملخص المذكرة بالإنجليزية:

The Psychological Meanings of the Speaker in Dalāʾil al-Iʿjāz by ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī

This study examines Dalāʾil al-Iʿjāz (The Proofs of Inimitability) by the prominent linguist and rhetorician ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī. Rather than aiming to reaffirm the theory of naẓm (composition or syntactic order), our research seeks to explore a crucial dimension of this theory—namely, the psychological meanings conveyed by the speaker, and their role in structuring and organizing Arabic discourse in general and Qur'anic composition in particular.

The study is structured around a theoretical introduction that clarifies the core concepts, terminology, and the primary text under investigation, followed by two applied chapters. These chapters present and analyze selected textual examples, demonstrating how psychological and emotional intent influences the structure and coherence of speech. The study is framed by an introductory overview and a concluding section.